

السياسة

{ كفاح شعب في رماد الحرب }

رواية

محمود حامد

دار بيوند للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى

الكتاب: المياس

المؤلف: محمود حامد

تصنيف الكتاب: رواية

تصميم الغلاف: محمد علي

إخراج داخلي: صبرينة غلمي

المقاس: 14*20

رقم الإيداع: 2017 / 29215

الترقيم الدولي: 978-977-8654-09-7

رئيس مجلس الإدارة

محمد عز الدين

المدير العام

صبرينة غلمي

All Rights Reserved

Beyond for Publishing and Distribution

+2 01095600007

beyond.dbh@gmail.com

www.facebook.com/beyond.PDH

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ودار النشر

في قلب كل إنسان وطن وذكرى.

نحن جميعا مخاطون منذ أن وجدنا أنفسنا على ظهر الارض بذلك الكائن
الذي يأتي ليسرق منا أعز ما نملك من انشامة صديق حبيب.

تأكد عزيزي أن كل شيء، إلى زوال ماضٍ...

فمجرد الظن أنك تملك كل شيء، في يديك ويأخذك الغرور سهواً ستجد نفسك
في أعماق سرداب الزوال.

وإن كنت لا تنوي الدخول في معركة الحياة وتقول في قرارة نفسك أن الحياة

عملية رياضية أو حسابية أنا لا أفقها

فسوف يأتي من يعلمك وعندها..

تجد نفسك في برائن سرداب الدم.

بقلم محمود حامد

إهداء

إلى من ذاقوا مرارة البعد عن أوطانهم..

إلى من سقطوا في براثن النسيان وحال بينهم الزمان وبين ما أرادوا..

إلى كل روح عشقت فأخلصت لوطنها..

إلى كل من يناضل من أجل قضية هي حق الإنسانية..

يا أيها البشر أفيقوا من سباتكم العميق مهما كان الليل طويلا حتما

سينجلي ويعود نسر الحق يحلق في كل الآفاق..

**"عندما ولدت لم يكن العالم بالياً بعد،
لكن لم يتأخر في أن يصبح هكذا"**

خوان خوسيه مياس

الحياة طبقات منعمدة ومع مرور الزمان ونعاقب الأيام نطال الحياة
مصدر للسعادة لبعض البشر

ومصدر للتعاسة والشقاء لبعضهم ..

ومن أجل هؤلاء سطر قلمي تلك الصفحات لعلهم يجدوها من ينقذ
من همومهم وأحزانهم ..

هذه الرواية من خيال الكاتب وأنايلف ولا تمت للواقع بصلة إلا في
أشياء قد حدثت بالفعل ولا يمكن أن نمنع من ذاكرة التاريخ ..

الكاتب / محمود حامد.

في ظل زحام الحياة الشديد ومن رحم المعاناة التي يشهدها العالم وفي ظلال حرب عالمية عصفت بتلك الدول وخاصة القارة العجوز ولدت جميلة أوروبا في قصر "بلاينهام" حيث كانت تدار الحياة السياسية برمتها من مطبخ القصر.

لم يشهد العالم جمالا مثلها من قبل وعلى الرغم من إنها ابنة الزعيم القائد "ونستون تشرشل".

والذي كان بإشارة من يديه تتحرك جيوش بريطانيا العظمي في حروبها ومستعمراتها.

إلا إنها كانت ذات شخصية مضطربة، أحيانا تجدها ذات روح هادئة تتبادل الحديث مع من حولها، وأحيانا تنظر إليها وكأنها في تيه بعيد ليس له خلاص وتظل حبيسة الغرفة لأيام عديدة.

وقد كان أطباء العالم قد اختلفوا في تشخيص علة مرضها، وقد أرجع أحد قارئ الفنجان إلى وجود عمل ما، أو سحر أسود تم وضعه في كوب ماء لها وهي صغيرة.. وربما لشيء أرادت والدتها: كليمنتن تشرشل.

أن تخفيه عن الجميع لاسيما وأن الامر يتعلق بأبنة زعيم دولة بريطانيا العظمي آنذاك.

وفي صباح يوم الاحتفال بعيد ميلاد الملكة وصادف ذلك اليوم احتفال الملكة بجلوس الملكة على العرش.

وها هي أصبحت تملك من العمر ثلاثة وعشرون عاما.

خرجت "ديانا" على غير عاداتها بصحبة الخادمة المقربة كي يحضرا باقة الزهور، لتقدمها للملكة وهي طقوس ملكية منذ القدم قامت بها والدتها من قبل..

أسرعى يا "رودي" حتى نلحق بتاجر الزهور قبل أن ينتهي من بيع ما لديه سوف نشترى أجمل وأغلي باقة زهور للملكة..

لكن يا سيدتي لماذا لم نرسل أحدا من الخدم لشراءها أو نستقل إحدى العربات الخاصة بك.

لا إني لا أريد أن أستقل تلك العربات كما وقد سئمت القصر والجند المحيطين به.

انظري إلى شوارع المدينة يا "رودي" واستمتعي بجمال تلك الطيور وألوانها الجميلة واستمتعي إلى اصواتها وهي تغرد فوق الأشجار.

استنشقي هذا الهواء النقي بعيدا عن هواء القصر المميت، كفى ما يحدث كل ليلة أثناء النوم من أحلام مخيفة من تلك الحرب.

ولكن يا سيدتي لا خوف علينا، أن قائد البلاد هو السيد "تشرشيل".

وسوف نجني ثمار الحرب بامتلاك العالم كله والانتصار قادم لا محالة.

أتعلمي يا "رودي" أني بفعل هذه الحرب اللعينة أضع رأسي على الوسادة ومشاهد القتلى والجرحى التي رأيتموها أثناء عودتي عبر المحيط تلاحقني، وأي ثمار سوف نجنيها بعد هذه الحرب كما يتحدث والدي.

وقد حل الدمار العالم كله ولا أحد يعلم متى تنتهي هذه الحرب.

ولكن الليلة ستكون الأجمل خاصة عندما نذهب إلى قصر الملكة انها تسعد برؤيتك كثيرا.

نعم وانا أيضا..

هيا اذهبي وسوف أنتظرك هنا حتى تعودى بأجمل الزهور مثل العام الماضي.

جلست "الأميرة" بجوار إحدى الأشجار المرتفعة التي تتدلي منها أغصان تكسوها أوراق بنفسجية اللون وأخرى حمراء اللون تشبه الجنة كما يصفون وهي تتأمل في جمال المدينة خاصة شارع "بوند ستريت"

أعظم شوارع العاصمة حيث الجمال والروعة فقد سبق وأطلق عليه قديما شارع الفن. ربما لأن به الكثير من معارض بيع أدوات الموسيقى وربما لوجود محلات بيع اللوحات الفنية بالإضافة لتمييز إحدى الشوارع الجانبية منه وهو شارع خمسة بالأشجار ذات الألوان الرائعة.

ولكن الذي جذب انتباه الأميرة وهي جالسة على مقعد خشبي تلك الرسومات التي كانت مدونة على جدار في الجانب الموازي لها من الشارع وكان المارة يقفون لدقائق امامها معجبين بها يتحدثون عن جمال وروعة تصميمها ولكن لا أحد يعلم من صاحبها ومن يكون "دافنشي" الذي دون اسمه أسفل كل صورة قام بتصميمها على جدران شوارع المدينة.

بينما كانت الخادمة تنتظر دورها حتى تحضر باقة الزهور والورود المطلوبة كان كل من يمر امام الأميرة من شباب المدينة ينظر إليها بأعجاب شديد وكأنهم لم تري اعينهم من قبل فتاة قطة.

ولكن هي بارعة الجمال والحسن تلك الكلمات التي تفوه بها أحدهم وهو يسير بسيارته ذات الأصوات المزعجة متحدثا إلى أقرنه.

بل أن أحدهم كان يسير بجوار زوجته، ثم توقف برهة أمامها فما من زوجته إلا أن صفعته على وجهه.

فابتسمت الأميرة ثم ضحكت حتى كادت الابتسامة أن تغلق عينيها.

تلك الضحكات التي سمعها "مارك" حيث كان يقف على الجانب الموازي متكأ على جذع احدى الأشجار بجواره حقيبة تشبه حقيبة احدى الأدوات الموسيقي.

أن هذه " الة الكمان" كان رد أحد الفتيان والذي كان يسير في نفس الاتجاه متحدثا إلى والده أريد شراء الة "الكمان" يا أبي حتى أستطيع أن أعزف مثل ابن العم "ريتشارد" لم يستطع والد الفتى شراءها عندما طرق أبواب إحدى محلات بيع أدوات الموسيقى فكانت الصدمة بأن ما يملكه في محفظته المرفعة لا تكفي لشراء هذه الآلة.

فسمعه "مارك" يبكي وهو ينظر إلى الحقيبة الموسيقية في حسرة..

فاستوقفه قائلا: اذهب إلى معرض لحن الحياة وسوف تجد كل ما تريد وستحصل على الالة الموسيقية بسعر زهيد.

فشكره الرجل وعبر الطريق مسرعا نحو المعرض بينما كان يقطع الطريق قطار الترام والذي يمر بشارع "بوند ستريت" ثلاث مرات يوميا ولكن الغريب في الامر أن القطار توقف فجاءة!!

ها أنا أحضرت الزهور.

انها رائعة شكرا يا رودى..

وبابتسامة كشمس في كنف المغيب أمسكت بفستانها الانيق عفاوا يا أميرتي بل يا صديقتي..

كانت تربط الأميرة بالخادمة علاقة صداقة منذ الصغر حيث كانت والدتها تعمل بالقصر الملكي منذ سنوات قبل أن تتوفي الامر الذي جعل الملكة تعتنى بها.

وعندما شاهدت "كليمنتن تشرشيل" تعلق ديانا بها في إحدى الحفلات تحدثت مع الملكة في شأنها بأن تأخذها كي تنضم إلى الخدم في قصر "بلاينهام".

الأمر الذي جعل الملكة توافق على الفور هو حبها الشديد لديانا.

بل وجعلتها "كليمنتن" من الخدم المميزون داخل القصر العظيم..

أين سنذهب الآن.

يجب أن اذهب إلى العم ريمون.

العم ريمون؟!

نعم.. لقد وعدته سابقا أن أزوره في معرضه وستكون مفاجأة سارة له..

كان "مارك" ينظر من بين عربات الترام فلم يستطع أن يري الأميرة من شدة الزحام.

لوح بيده نحو سائق الترام بأن يتحرك والذي لم يعيره انتباها نظرا لوجود عطل في محرك الترام ادي إلى توقفه المفاجيء..

تحدث مارك بصوت مرتفع واضع يده علي فمه: اذهب أيها الوغد.

لكن أصوات المارة والصخب الشديد للسيارات كان مرتفعا..

فاضطر مارك أن يحمل آلتة الموسيقية ويعبر إلى الجانب الآخر من خلف القطار حيث تجلس الأميرة وفي أثناء عبوره استوقفه أحد أصدقائه يتحدث معه في لوم شديد ويستفسر عن عدم حضوره كما وعده أمس للذهاب لاحدي الحفلات الليلة مع الأصدقاء.

شاهد "مارك" عجالات الترام تتحرك فاستأذن من صديقه ملوفا بيديه وهو يتخبط في المارة اسف يا صديقي سوف أخبرك بعد.

وعبر إلى الجانب الاخر فلم يجدها حتى أنه طرق المقعد الخشي بأرجله في حسرة شديدة.

قائلا: لعلها ذهبت حين كان يقف ذلك الوغد، وربما استقلت ذلك الترام اللعين.

حسنا سأذهب لجدي لقد تأخرت عليه كثيرا..

وفي لهفة في شديدة كانت الأميرة تسير بين المارة والخادمة خلفها في عجل، فسقطت من يديها زهرة تلو الأخرى ولم يتبقى سوي واحدة كانت تقبض عليها بيدها وهي غير منتبهه..

كان مستر "ريمون" يبلغ من العمر ستون عاما يعمل مدرسا لتعليم الموسيقى في البلاط الملكي وقصور الأمراء والقادة منذ خمسة عشر عاما.

وكان يمتلك معرضا صغيرا حيث أدوات الموسيقى واللوحات الفنية الرائعة و يعد المعرض الخاص به من اقدم المحال التجارية في شارع خمسة..

يتردد على معرضه السنوي كثيرا من رواد الموسيقى حول العالم حتى انه ذاع صيته في انحاء أوروبا القديمة، وإيطاليا خاصة والذي كان يأتي إليه أصدقائه من أصحاب المعارض المشابهة كثيرا.

ولتفوقه عليهم في جذب رواد الفن والموسيقي من انحاء أوروبا..

خاصة وانه يعمل في بلاط القادة والأمراء وهو الذي صنع له شهرة على الجانب الموازي

ورغم صغر المعرض من حيث مساحته إلا أنه اكتسب شهرة واسعة النطاق نظرا لأسعاره الزهيدة فكان رواده في ازدياد العام بعد العام حتى أصبح اسمه حديث القاصي والداني في انحاء أوروبا..

ولكن سعادته بحديث محبي الموسيقى في أوروبا عنه لم يدم طويلا بعدما خطف الموت زوجته من بين احضانه في خريف يوم ممطر وهي على فراش إحدى مستشفيات ضواحي العاصمة..

ما كاد ريمون يغادر المستشفى الصحي حتى سمع صوت المنادي أن اقبل في عجل زوجتك يداهما الموت.

فأسرع ريمون نحو الغرفة 313 و ما إن وصل إلى أبواب الغرفة حتى احس بثقل في قدميه فامسك بأطراف يديه مفتاح الغرفة وبداء في الدخول حتى رآها تشير بأصبع يديها نحوها بأن أقبل.

فاقبل إليها وهو غير قادر على الحديث و ما إن استعاد أنفاسه حتى بدأ يذكرها بأجمل ايامهم وذكريات شبابه.

أتذكرين يا "سيلينا" اول يوم رأيتك فيه؟

كان في مسرح ليفربول حيث كانت تعرض إحدى مسرحيات "وليم شكسبير"

وفي لقطة الوداع سقطت عيناى عليك حينها..

حينها لمعت عينيك الجميلة فلم أستطع أن اجلس طويلا.

حينها تحركت نحو مقعدك وقمت بتقبيل يديكي وتوقف العرض لدقائق حتى خرجنا من المسرح.

ضحكت "سيلينا" ولكن من شدة الألم لم تستطع أن تكمل حديثها.

لا تتحدث كثيرا "سيلينا" فالرب موجود وسوف تغادري المستشفى في اقرب وقت.

اين ابتسامتك التي كانت لا تفارق وجهك ليل نهار؟

أين "سيلينا" رقيقة العمر في درب الكفاح.

هيا استعيدي روحك الجميلة من جديد فالمنزل بدونك اصبح مقبرة لي ودائما ابحث عنك في كل غرفة فأنفاسك تطاردني هيا يا "سيلينا" هيا.

امسكت "سيلينا" بيديه ثم قالت له: إياك ألا تزورني كل يوم "أحد" فأنت تعرف مكاني جيدا.

سوف أنتظرك حتى تأتي وتتحدث وتشكوا إلى أعباء الحياة فأخفف عنك يا حبيبي.

وظل على العهد معها يذهب كل أسبوع إليها ويشكو إليها ويسامرها حتى غروب الشمس ثم يغادر بعد أن يضع الزهور على قبرها قبل أن يرحل.

فكان لفقدان زوجته بالغ الأثر عليه وعلى حياته بعد أن

رحلت بعد صراع دام طويلا مع المرض.

وبالفعل كان الفتى قد ذهب إلى معرض "ريمون"

بصحبة ابية، كي يشتريا إحدى أدوات الموسيقى إلا أنه قد أعجبتة لوحة صغيرة الحجم وكانت لوحة الموناليزا.

فأعطاه "ريمون" إياها كهدية واكتسب زائرا جديدا فكان ريمون كل يوم يريح زائرا..

وفي هذه الأثناء دخلت الاميرة.

فعلا وجه ريمون السعادة والسرور فرحا برؤيتها
ها أنت أوفيت بوعدك واتيبت إلى معرضي المتواضع.

مرحبا بك..

هلا مستر ريمون.

لكني اراكي منهكه!!

وفي صوت ضعيف لا يكاد يخرج.

تحدثت بعد أن جلست على أحد المقاعد الخشبية.

لا عليك بل انى كنت اسير مسرعة حتى الحق بك قبل أن تغلق المعرض.

أعرف أنك تغادر يوم الأحد بعد الواحدة ظهرا وتذهب إلى الريف..

نعم يا ابنتي..

لماذا تذهب إلى هناك وتترك المدينة؟

واعمالك كلها هنا.

أن رفيقتي تنظرني في هذا اليوم من كل أسبوع.

ابتسمت الأميرة قائلة..

يا عم ريمون!!

نعم رفيقتي منذ خمسة وثلاثون عاما وبعد رحيلها أذهب إلى قبرها وأضع بعض الزهور وأتحدث معها إلى غروب الشمس ثم أنصرف إلى المنزل مع ضي القمر حيث الهواء النقي مع السماء الصافية ليلا.

قال وهو يشير إلى الخارج كما أني استرح ولو ليلة من صخب المدينة..

لا اعرف لماذا تأخر؟

كان المفروض أن اغادر من نصف ساعة.

من هذا يا "مستر" ريمون؟

انه صديق لي يا رودي..

ونظر إلى يديها ها إذا هذه الوردة من أجلي.

شكرا لكي..

نظرت الأميرة إلى باقة الزهور فلم تجد غير واحدة فقط.

فكانت الصدمة!!

اووه يا ربي..

اين الزهور يا رودي؟

ربما يا سيدتي سقطت من يديك في الزحام ونحن نسير في عجل..

ماذا افعل الان؟

الحفل الليلة!!

ماذا ساقدم للملكة؟

اخذت تبكي في لوم شديد وفي حسرة لأنها لن تستطيع أن تعود إلى محال الزهور في هذا الزحام الشديد مرة اخري.

هز ريمون رأسه قائلاً: لتسامحني زوجتي فلن أستطيع أن اذهب إليها اليوم.

لم تعي ديانا ما كان يقصد الرجل العجوز لدخولها في نوبة من الحزن والحسرة.

لا عليك يا ابنتي اذهبي وسوف احضر لكي أجمل منها بشرط واحد...

ان اعزف مقطوعة " الفصول الأربعة " في حفل الليلة.

ولكن؟!

أعرف اني لست ممن يحق لهم الحضور فلم توجه لي دعوة، ولكن لدي أمل أن لا تمنع الملكة في حضوري.

حسنًا يا عم ريمون.

سوف ابليج كبير الحرس بأني من قمت بدعوتك حتى يسمح لك بالدخول.

اخذت تجفف دموعها..

في انتظارك اليوم انت ومن تريد بشرط أن تحضر الورود الجميلة انت تعلم انها تقاليد ملكية مستر "ريمون"

حسنًا..

هيا جففي دموعك واذهبي..

وفي الخارج كان يقف ذلك الفتى "مارك" يتابع من خلف الزجاج ما يدور بداخل المعرض بين "ديانا" وجده.

فقد كان يخرج كل ليلة في شوارع العاصمة لندن ممسك بفرشاة ومجموعه من الالوان..

وبعد أن يتأكد من عدم وجود المارة بالشارع حتى يبدأ رسم لوحة فنية على كل جدار يقف امامه الغريب في الامر أن في منتصف كل لوحة يرسمها صورة لفتاة ولكن معالمها غير واضحة لكل من يراها.

حتى أن مصورا الفتوغرافية كانوا عندما يعلموا أن هناك رسومات جديدة مدونة على جدار جديد كانوا يتسابقوا لالتقاط الصور الفتوغرافية ومن ثم يقومون ببيعها في معارض اللوحات والتي كانت قد بدأت تنتشر في أوروبا في ذلك العصر..

كانت هواية "مارك" الرسم وعزف الموسيقى ووجد نفسه منذ نعومة اظفاره مغرما بذلك الفن وفي أحد الأيام جلس بجوار أسوار المدرسة بعد انتهاء اليوم الدراسي وانتظر حتى رحل زملائه وجميع العاملون، فامسك بفرشاة وأخذ يرسم إحدى إبداعاته الفنية.

وبالطبع صورة الفتاة التي لا يعرفها أحد سواه في منتصف اللوحة.

ولكن لم يكن يعلم أن القدر يخبئ له مالم يكن يتمني وهو أن مديرة المدرسة وإحدى الزميلات لم يكن قد غادروا بالفعل.

وقبل أن ينتهي من عمله أحس بصوت يدنوا من قرب فهم يلم لم أغراضه من الوان وفرش واختبأ خلف إحدى الأشجار يراقب من القادم.

وهو يعرض على انامله خوفا من أن يعلم بأمره احد..

ثم رفع طرف عينيه فوجد من بعيد إحدى المدرسات تسير برفقة مديرة المدرسة ثم توقفوا عند الجدار!!

إنها لوحة رائعة!

انظري يا سيدتي إنها تشبه تلك الرسومات التي امتلأت بها شوارع المدينة والتي تنسب إلى ذلك الشخص الذي يدعي "دافنشي"

التفتت مديرة المدرسة يمينا ويسارا لعلها تجد أحدا فلم تجد عندها رجف قلب دافنشي خوفا أن ينكشف أمره فأسند ظهره على الشجرة وكنم أنفاسه..

ولكن كيف علمتي أنها ل دافنشي يا "سارة"

إن اللوحة بلا إمضاء كما عودنا من قبل بأن يضع اسمه أسفل كل عمل له ربما كانت لشخص آخر.

وربمااا..

انظري يا سارة.. نعم إنها لذلك الشخص المدعو "ديفينشي" فارتعد قلب الفتى وهو يقف خلف الشجرة وامسك بحقيقته ووضعها على وجهه..

أعيدي النظر جيدا في اللوحة ها هي في المنتصف وجه تلك الفتاة التي رأيناها من قبل في جميع أعماله والتي انتشرت بسرعه الطائرة النفاثة في أرجاء المدينة.

حقا..

إنها بالفعل للمدعو دافنشي.

ولكن كيف جاء ذلك الشبح إلى هنا؟

لابد وأنه أحد أعضاء هيئة التدريس. أو ربما كان أحد التلامذة.

أن هذا الأمر غريبا حقا أما رأيت جدران المدينة وقد أصبحت بفعل هذا الشبح شيء جميلا..

بل أن الجدران باتت تتحدث من جمال ألوانها الخلابة وروعة التصميم..

شبح "ديفينشي" يحل في كل مكان وجد عمل له به..

فقد تحدثت عنه صحيفة العاصمة تحت عنوان:

" شبح دافنشي يغزو العاصمة "

ولكن لا أحد يعلم ماهية "ديفينشي" ومن يكون ومن هي تلك الفتاة فقط يستيقظون كل يوم على عمل فني جديد..

لو علم زوجي بهذه الصورة لترك ساحة القتال وجاء زحفا إلى هنا فهو يعشق فن التصوير الفوتوغرافي.

هل حقا يعشق التصوير الفوتوغرافي يا سارة؟

نعم سيدتي هي بالنسبة له كل شيء في الحياة.

بل أني أحيانا أتشاجر معه لأنه يترك المنزل أيام عديدة بحثا عن أي شيء يستحق أن تضيء له عدسات الكاميرا الخاص به.

إنه مجنون..

ضحكت مديرة المدرسة قائلة: وأنت أيضا مختلة العقل يا سارة أتتذكرين عندما سمعت صوت عازف الكمان وأنت تسيري معه في شارع خمسة ذات يوم وتوقفت طويلا امامه فلم يجد غير أن يتركك ويرحل.

لم أعي يومها ما حدث لي إلا أنني احسست وأن أصوات آلة الكمان تحدثني إنه كان يعزف أسطورة " الفصول الأربعة " إني أعشق تلك الأسطورة منذ الصغر.

يا لك من مجنونة يا سارة.

هيا لنذهب لقد تأخرنا اليوم كثيرا..

في هذه اللحظة أخذ "مارك" يستعيد اتزانته مرة أخرى بعد أن التقط أنفاسه.

وفي زحام المدينة وتكدسها بالمارة كان يسير كي يلحق بجده في معرضه.

وما إن شاهدها تخرج من المعرض حتى تراجع إلى الخلف واختباء خلف أحد أعمدة الانارة حتى غادرت المعرض.

وما إن رحلت حتى دخل إلى محل ريمون.

مرحبا مارك..

كيف حالك؟

إني بخير يا جدي..

هل أنت بخير؟

نعم بخير يا بني.

ولكنك تأخرت اليوم كثيرا.

معذرة المدينة مزدحمة للغاية بالمارة وكان احتفالات أعياد الميلاد لن تنتهي هذا العام.

حسنا..

ولكن ماذا تخبئ خلف ظهرك.

أرني..

أخرج مارك الزهور من خلف ظهره.

يا لها من زهور جميلة انها بالضبط ما أريد لقد كنت أنوي شراء زهور مثلها اليوم.

لماذا يا جدي؟

هل عندك موعد مع حسناء الليلة؟

نعم.. وسوف تأتي معي.

إذا سوف أبلغ جدتي.

لك ما تشاء يا ولدي ولكن لا تخبرها بشيء ربما انال قسط من غضبها.

اتريد أن تحضر حفل كبير في القصر الملكي.

تقصد يا جدي حفل جلوس الملكة على عرش البلاد.

نعم.. نعم بالطبع.

سوف يتحقق الحلم اذا.

لا.. لا لاابد أنك تمزح كالعادة!!

لا بل ستأتي الليلة معي كمساعد لي وسوف تعزف على البيانو الملكي أيضا..

لمعت عين مارك ثم خرج مسرعا محققا نظره نحو السماء.

أشكرك أيها الرب..

مارك.. مارك

انهض يا فتى أن الأرض متسخة.

هيا.

حتى نستعد جيدا..

الآمال العظيمة تمنع الأشخاص العظماء...

توماس اديسون

كان الخدم مشغولون بتجهيز القصر لاستقبال الضيوف من الأمراء والنبلاء والقادة
والذين قدموا من جميع أنحاء المملكة..

واما في قصر "بلاينهام"

وفي الدور العلوي في غرفة مطلة على الجانب الشرقي للقصر.

كانت تجلس الأميرة في صمت تارة وفي حركة مستمرة تارة أخرى تحدث نفسها..

لقد تأخر العم ريمون.

والنبلاء والأمراء قد حضروا إلى الحفل.

ووالدي قد غادر بالفعل إلى هناك في موكبه العسكري ماذا أفعل الآن يا ربي..

سمعت صوت الباب

هيا.. يا ديانا لقد تأخرنا ايتهنا الأميرة.

ذلك اللقب الذي قد أطلقته عليها الملكة منذ صغرها.

ماذا أفعل؟!

لا أملك شيء أقدمه للملكة فلا باقة زهور

ولا أي شيء.

يا ربي..

سوف اخرج الآن يا أمي..

كانت الخادمة تقف في الشرفة تنظر إلى أبواب القصر لعلها تري ريمون.

لم يأت مستر "ريمون" بعد يا "رودي"؟

لا يا سيدتي.

أنا في حيرة شديدة لقد راودتني فكرة أن أدعي المرض.

لعلها فكرة جيدة..

سيدتي.. سيدتي

لقد حضر مستر "ريمون" ومعه شاب جميل يا له من فتى انه يشبه نجم السينما البطل..

ماذا تقولي؟!

لا لا لقد حضر العم ريمون..

إذا سوف اخرج الآن كي استقل السيارة..

أبلغ قائد الحرس بالتحرك الآن..

خرجت الجميلة من غرفتها وبدأت تترجل في اتجاه السلم الذي يتوسط القصر..

وأطبقت بيديها على تلك الزهور قائلة لن تتفوتي من يدي بعد اليوم.

واستقلت السيارة الفارهة في صحبة موكب عسكري أعد خصيصا لها من جانب الملكة

متجهة نحو القصر الملكي في ركب كبير.

كانت أبواب القصر على مصرعها مفتوحة لاستقبال القادة والزوار.

وبعد دخولها القصر اصطف الجميع مرحبا بها واستقبلها القائد والدها معبرا عن سعادته برؤيتها شاكرا الرب على عودتها سالمة بعد ما لاقته من احوال في الشهور الماضية أثناء عودتها من رحلة علاج من الهند الشرقية.

حمد للرب على سلامتك يا ابنتي فأني أشتقت كثيرا لرؤياك.

كيف حالك الان؟

اني بخير أيها القائد العظيم.

تبسم "تشرشيل" قائلا اشعر بفخر عظيم عند سماع تلك الكلمات منك وكأنني انتصرت على ذلك المعتوه النازي.

وكانه يقصد "هتلر" زعيم المانيا الفاشية.

في تلك اللحظات أذاع قائد الحرس الملكي نبأ خروج الملكة كي ترحب بضيوفها من الأمراء والقادة...

تقدمت الأميرة الصغيرة نحو السلم الذي يتوسط القصر وفي المنتصف قدمت بوكيه الزهور الذي تنوعت ألوانه ما بين قرمزية وأخرى جوري وحمراء اللون وغيرها من الألوان التي كانت تعشقها الملكة.

حيث عرف عنها عشقها للزهور حتى أصبحت طقوس ملكية فيما بعد.

فقد تنوعت ألوانها للحد الذي جعل الملكة تهمس في اذني الأميرة إعجابا.

احسنت الاختيار..

ثم قبلت يد الملكة فصفق جمع الحاضرين من الأمراء والنبلاء..

وقدم الجميع انحناء للملكة أثناء نزولها سلم القصر الملكي.

الا شخص واحد ظل محدقا عينيه نحو الأميرة الصغيرة فلم تعي الملكة ذلك لشدة السعادة التي كانت تغمرها حينئذ..

ثم عزف المايسترو مقطوعة ترحيبية للملكة احتفال بعيد جلوسها على عرش انجلترا..

فصفق الحاضرون جميعا وما بين انشغال الجميع بتقديم أسمي آيات الترحيب بالملكة.

تقدم "ريمون" ممسكا بيد "مارك" والذي كان لا يزال واقفا في مكانه بلا حركة تذكر.

فامسك بيده وقدم انحناء للملكة قبل أن يذهب إلى البيانو الملكي ثم جلسا.

وبعد اقل من دقيقة..

بدا البيانو يعزف مقطوعة "الفصول الأربعة" تلك الأسطورة التي تنسب للموسيقار العظيم

"انطونيو فيجا لدي" حيث تحكي هذه المقطوعة فصول السنة الأربعة (الصيف والشتاء والربيع والخريف)

اسطورة موسيقية تمزج احداث الطبيعة في كل منهم من نسيم ورياح وامطار وعواصف بموسيقى آلة "كمان" وقد راققت هذه المقطوعة راجا عالميا رغم انه تم تأليفها في القرن الثامن عشر الميلادي عام 1723. كانت أجمل المقطوعات الأسطورية في تلك البلاد منذ القدم و مازلت تُعزف في بداية كل حفلات الأمراء والشرفاء..

ولكن الغريب أن يعزفها موسيقار شاب وعلي بيانو القصر الملكي وهو غير معلوم من قبل في حفلات الأمراء والنبلاء..

بتلك الكلمات كانت تتحدث الملكة إلى القائد "تشيرشيل" وهي في سعادة من سماع تلك
الألحان..

وبعد أن انتهى الفتى من عزف مقطوعة " الفصول الأربعة " وقد ألهب حماس الحاضرين
جميعا

بأدائه الرائع حتى قامت الملكة وقدمت إليه نيشان الحرية والذي لم يكن يمتلكه من قبل
إلا قائد في جيوش البلاد المخلصين..

كل هذا والأميرة تقف في حيرة من امرها لا تنطق بحرف ولا كلمة فهي ما بين دهشة من
الفتى والحنان الرائعة وروحه العالية في أداء المقطوعة.

وكأنها لم تسمعها من قبل..

وبين سؤال يلح عليها وكأنها رآته قبل اليوم

ولكن لا تدري أين؟

تقدمت الأميرة نحو البيانو حيث يقف ريمون بصحبة مارك.

ثم سمعت صوت الخادمة من الخلف..

سيدتي الأوركسترا تنتظر إشارة بدء حفل الرقص. سيدتي.. سيدتي..

حسنًا اذهبي.

مستر ريمون أشكرك كثيرا لقد انقذتني اليوم بحضورك..

تحياتي لكي ايها الجميلة.. بل الفضل يعود لذلك الفتى الشجاع مارك.

نظرت إليه بابتسامة اعجاب وصافحت يدها يده فأحس بشعور غريب.

وكان وجدانه يقشعر من هول ما يحدث له.

اشكرك كثيرا لقد انقذتني من امر عظيم اليوم اتعرف انها تشبه تلك الزهور التي اشتريتها في الصباح.

هيا لتصاحبني في الرقص الليلة وكان القادة والأمراء ينتظرون وبشغف لكي ينال احدهم ذلك الشرف العظيم

بدأ جميع من في الحفل ينظرون إلى "مارك" محققين اعينهم صوبه.

وداعب أحدهم صديقه قائلا:

لقد ازدادت الأميرة جمالا عن العام الماضي بل أصبحت في قمة الجمال..

أصمت يا رجل حتى لا تندم يوما على حديثك.

انظر لذلك الضابط.

من يكون؟

انه ابن عم الاميرة.

وما أمره؟

أعلم من خلال مصادري انه يريد أن يتزوج الأميرة..

أصمت الآن انه قادم..

اسمعت يا صديقي عن ذلك الشبح الذي انتشر في العاصمة.

اتقصد حديث تلك الجريدة عن "دافنشي"

مرحبا أيها القائد العظيم..

مرحبا يا أصدقاء..

نعم اقصد ذلك المدعو دافنشي والعجب أن مصورو الفوتوغرافيا يلهثون خلفه في كل مكان.

وقد اصبح حديث الساعة اكثر من حديث العالم عن الحرب وانتصار دولتنا في حروبها.

ولقد حققت بريطانيا تقدما هائلا في طريق النصر بفضل سياستك وحكمتك أيها القائد..

لا يا اصدقاء: بل خبرة القائد "تشرشيل" هي من جعلت من دولتنا دولة عظمي.

وسوف يمحي الألمان من على وجه الأرض يوما ما وتظل المملكة المتحدة دولة عظمي.

ولكن مازال الطريق غير ممهد للانتصار بعد هناك أشياء كثيرة يجب أن تسير وفق سياستنا ودولتنا جديرة بذلك..

ولكن هناك البعض من أبناء البلاد ينكر تلك الحرب ويعارضون سياسة القائد العظيم ونستون تشرشيل

في نهج الحرب.

كل سياسة ولها أعداء ولكن سوف يصمتون يوم أن ننتصر على الدولة النازية واعوانها.

ويقفون في بادئ الصفوف ويصفقون ويهللون عند الاحتفال.

وبعجرفة معهودة.

دعكما من الحديث عن دافنشي وعن الحرب وتناول المشروب الروحي إلى اللقاء..

اشكركما على حضوركم الكريم..

وكان مارك في حلم لم يستيقظ منه بعد فأطلق لعقله العنان ليفعل ما يشاء.

وربما أحس أن تلك الفرصة لن تعود ثانية.

إن القدر يقدم له ما سبق وتمناه منذ الصغر وها هو يتحقق الليلة..

إشارة الأميرة بيديها إلى الأوركسترا فبدأ الحفل الراقص واستمرت تلك الرقصة إلى نصف ساعة تقريبا والجميع ينظر في دهشه وذهول أن الفتى يتمايل ويرقص بشكل لافت لانتباه الجميع.

صفق جمع الحاضرين بعد انتهاء تلك الرقصة معبرين عن سعادتهم بابتسامه وكلمات تحمل الثناء.

ولكن ريمون كان يقف متحفزا خائفا من المستقبل القريب لعله يعلم جيدا أن مارك قد تعدي جميع الخطوط الحمراء والأسلاك الشائكة التي بين الطبقة الحاكمة وطبقة العامة وكان لا يجب أن يحدث ذلك.

فقد تنقل بين أرواق قصورهم كثيرا ويعلم خباياهم جيدا.

ولذلك ظل يراقب تصرفات مارك وينظر لعله يعي ما يفعل ولك مارك ظل طليق النفس طيلة الحفل.

ثم أخذ ريمون يتم تم بين جنبات نفسه ربما أكون جليس زوجتي قريبا.

وبعد انتهاء الحفل الراقص صفق الحاضرون جميعا فأمسكت بيدي مارك قائلة:

هيا يا مارك أريد أن اتحدث معك في شرفة الطراز واخذت تتحدث إليه حديثا طويلا..

سمعت منه الخادمة القليل بسبب أصوات الموسيقى والضجيج المرتفع.

احب أن أشكرك على تلك الزهور لقد انقذتني اليوم كما أنك أسعدتني بسماع تلك الألحان الرائعة وكأنني لم أسمع "الفصول الأربعة" من قبل.

نظر مارك إلى "ديانا" مبتسما.. ثم نظر إلى السماء حيث انشطار القمر إلى نصفين والنجوم تجاوره وظل شريد العقل فهمست في أذنيه فأبتسم قائلا:

اعلم أن الحياة طبقات بين الناس وهناك اسلاك شائكة تمنع الطبقة الأدنى من الاقتراب من الطبقة العليا ولكن القدر قد جاء بضيء أمامي اليوم لينقذني بعد أن شارفت نفسي على الهلاك، لسنوات عديدة مرت وأنا اراكي في أحلامي وكأنني أنتظر من يعيد لي الروح من جديد

فانتي هدية قد أرسلها القدر.

لقد رايتك وأنت تجلسين بجوار تلك الشجرة البنفسجية في الصباح.

عندها توقف قلبي مرات عديدة وكان صورتك لم تفارق خيالي منذ الصغر.

وشاهدتك والزهور تتساقط فلم يكن أمامي سوي أن ادفع المارة عن تلك الزهور وأخذت أجمعها من جديد وسرت خلفك إلى أن وجدتك عند جدي ريمون..

ثم انتظرت خروجك.

سيدتي أعتذر عن تسرعي في الحديث ربما تحدثت بأشياء لا يجب أن أتحدث بها اليك ولكني حقا منذ أن رايتك قديما وأنت صغيرة عندما أتيت مع السيدة "كليمانتن" إلى منزل الجد والي يومي هذا وأنا أنتظر أن أراكي..

ابتسمت ديانا ثم نظرت اليه..

لقد تعلمت الموسيقى على يد الجد اذا!!!

وتعزف الحانا جميلة أيضا..

أن العائلة الملكية محظوظة بكما.

بل اني محظوظ برؤيتك يا اميرتي..

كان جميع من في الحفل مشغولون في الرقص وتناول المشروبات الروحية.. إلا احدهم أخذ يتابع من بعيد الحديث الذي دار بين مارك والأميرة

وهو يحدق بعينه نحو مارك ممسكا بسيجار وبيده الأخرى كأس من النبيذ الاحمر..

اشار أحد الخدم إلى الأميرة بأن الملكة تبحث عنها..

انتظر يا مارك سوف آتي اليك ثانية لابد وأن الملكة تشير إلى سأعود اليك ثانية..

اخذت الأميرة ترحب بضيوف الملكة وقائدي الجيوش وهي تقف بجوار ابها ممسكة بيده وهو يعضد على كتفها وسيجاره الفاخر في يده الأخرى كانت تنظر إلى ابها فخورة به وحديثه عن الحرب وتلك المعارك التي يقودها الجيش البريطاني.

وعينها تختلس نظرات إلى الطراز شغوفة بحديث مارك وتبتسم إلى الضيوف تارة ثم تنظر إلى الطراز تارة اخري.

أخذ ريمون يبحث عن مارك ثم وجدته في الطراز

فاستوقفه أحد الضباط والذي يعمل في إحدى الوحدات الداخلية للجيش البريطاني.

وقدم له التهنئة على أداءه المميز في عزف مقطوعة الموسيقي.

وقدمه إلى زوجته قائلاً: أن ريمون من اعظم ما انجبت المملكة في الفن فهو لدية انامل

تعزف بمفردها.

ابتسمت زوجة الضابط

انا اعلم مكان معرضه الخاص بشارع خمسة

انسيت هدية عيد زواجنا منذ شهر لقد اتيت بها من عند ريمون.

نعم يا سيدتي انه لفخر وشرف عظيم لزيارتك معرضي المتواضع.

هكذا دائما يا "سارة"

يبدو عليه التواضع في حديثه مع الجميع.

أو ليس ذلك حقا يا زوجي العزيز؟

لا.. لا حقا بالفعل.

ادركني يا ريمون سأنام العام كله في الوحدة الشرطية.

وفي هذه الأثناء جاءت السيدة "كليمانتن" وصافحت "سارة" بعد صافحت جون وبعده

ريمون.

مقدمة له التحايا العطرة على موقفه النبيل مع ابنتها اليوم.

العفو يا سيدتي..

بل انه لشرف عظيم لي خدمتك والأميرة الصغيرة.

لكني حزين للغاية.

لماذا ريمون؟

تخيل عزيزي جون انها كانت افضل من يعزف "الفصول الأربعة" بعد "أنطونيو فيغالدي" في المملكة.

صحيح..

نعم.

عزيزي ريمون قديما كنت لا أزال صغيرة اتنقل كثيرا واذهب إلى الريف حيث السماء الصافية والحدائق كل ذلك كان يخلق جو جميلا يساعدني على الابداع.

ولكن مع تقدمي في السن وتزايد أعباء الحياة فلم يعد لدي القدرة على الجلوس على مقعد البيانو بعد..

اما يكف حضورك لإعطاء ديانا دروس في تعليم الموسيقى.

ابتسم ريمون.. يكفيني شرف وجودي في قصركم العظيم سيدتي.

تحدثت سارة قائلة مستر ريمون افضل ما انجبت المملكة في فن الموسيقى.

ولكن يا زوجتي حديثك ينقصه شيء.

ماذا!!!

لا أن حديثي لا ينقصه شيء أنت دائما تريد الجدال معي بلا سبب حقيقي.

فلنستمع له يا عزيزتي ربما يكون على حق..

حقا يا سيدتي..

ماذا تقصد يا صديقي جون؟

اقصد أن اليوم شهد مولد عالم جديد يدعي مارك فهو يعرف كيف يضع اصبعه أين ومتي..

ابتسمت سارة لقد كنت امزح معك يا جون..

كان جون يعشق زوجته وكثيرا ما يثير بحديثه انفعالها وسرعان ما يتودد إليها بلطف غير معهود لرجال الشرطة..

وهكذا الحب يجب أن يسود العالم فالحب ليس مجرد كلمة تقال بل هو أفعال يجب أن تغفر لمن احببناهم فالحياة لحظة أن لم نستثمرها في السعادة ربما يهوي بنا العمر في براثن الاحزان.

نظر ريمون فشاهد مارك مازال يقف بمفرده في الطراز فهم يذهب اليه.

و ما إن وضع يديه على كتفي مارك حتى هب فزعا..

فضحك ريمون ماذا بك يا فتى..

لا.. لا شيء

لقد نلت فلادة جميلة وقيمة حقاً، كل هذا بفضلك يا جدي لولاك ما كنت دخلت إلى القصر الملكي وانت تعلم انه الحلم منذ الصغر..

ونلت أيضا اشادة القادة والحاضرون..

وهذا بفضلك يا جدي.

ولكني اظن أن اشادة الملكة هي ابلغ وأعظم من كل هذا.

صحيح بالطبع شرف لنا الوجود بين هؤلاء القادة والنبلاء في حضور الملكة أن التاريخ سوف يسجل ذلك لنا.

ولكنك انت يا جدي أحق بهذه القلادة.

ثم نزعها من عنقه واهداها لجدته وسط رفض شديد من ريمون..

ولكن مارك ابي أن يأخذها وأعطائها إياه فهو من رباه بعد وفاة ابيه وعاش في كنفه حتى اصبح فتي شابا..

كفي انك من تولي رعايتي منذ الصغر بعد وفاة ابي وامى في الحرب.. فاننا مدين لك بحياتي..
لا تقل ذلك يا فتي فانت ولدي..

واخذ ريمون يزرع دمعا..

فاحتضنه مارك وأخذ يتمتم له في اذنه بحديث لم يسمع حتى ضحك ريمون..

اسمع يا ولدي هذه الكلمات لقد جئنا إلى هنا حتى نؤدي عمل ما وهو إسعاد الملكة ورعاياها من القادة والأمرء والنبلاء.

استوقفه مارك قائلاً: قبل أن تتحدث يا جدي أنا اعلم ماذا تريد ولكن هناك شيء ما يدفعني وعقلي غير قادر على أن اعى ما يحدث.

يا ولدي نحن مجرد رعايا من عامة الشعب وهناك حقول مليئة بالألغام لا يجب أن تتعدها.

و ما إن أخذ القائدة يتحدثون عن الحرب والدولة حتى استأذنت "ديانا" بالانصراف بلطفها وابتسامتها المعهودة.

اتسمح لي مستر ريمون بأن اقطع عليك تلك الخلوة الرائعة..

كانت "ديانا" لها طيف جميل يعشقها كل من يراها ومن يتعامل معها في كل انحاء البلاد حتى فقراء المدن كانت تعطف عليهم كثيرا وتغدق عليهم بالهدايا الكثير..

اريد أن أشكرك يا عم على حضورك المميز اليوم وعلي حضور "مارك" معك لقد ادهشنا بألحانه الرائعة انه فتي شجاع حقا وسط مئات من الأمراء والشرفاء وفي حضور الملكة واسمعنا اجمل الالحان..

تحياتي لكي يا اميرتي..

منذ الصغر وهو يتعلم ويستمتع إلى الموسيقى ليل نهار لقد كان يجلس بجوارك قديما عندما كانت السيدة "كليما نتن" تأتي إلى الريف أتذكركين؟.

اه حقا!

نظرت إليه مبتسمة نعم.. نعم تذكرت.

وفي إحدى الأيام كانت السيدة "كليما نتن"

تعزف على البيانو فجلس مارك يستمع وينصت حتى انه تعلم الكثير يومها..

لم يستطع مارك أن ينام ليلتها وظل طيلة الليل يعزف على بيانو صغير كان يمتلكه
مقطوعه

تلو الأخرى نظرت إليه من شرفة في البيت ثم تركته يعزف حتى الصباح..

إذا تعلمها من امي.. نعم

لقد كانت افضل من عزف الفصول الاربعة.. يا ابنتي.

ولي الشرف يا اميرتي أن اتعلم منها فلها

كل الفضل على الجد وندين لها وللملكة بالولاء..

إذا سوف تأتي إلى القصر مع مستر ريمون

في درس الموسيقى القادم..

لا بل سوف يأتي مارك بمفرده لقد ادرك ضالته

إذا وهو تلميذ نجيب وسوف تتعلمين منه الكثير وسوف اجلس في معرضي واتفرغ اليه.

قريبا سوف يكون افتتاح المعرض السنوي الخاص بي واريد أن استعد حتى لا افقد رواد

معرضي..

ابتسمت ديانا..

ونظرت إلى مارك حيث لمعت عينيه فيما يشبه البريق.

ثم قال لها: أن الجد يعرف عني الكثير..

أن كل قوة في العالم تبدأ بثبات
أخلاقي
وكل فريضة تبدأ بانهايار أخلاقي

علي عزت يچوفيتش

ظهيرة اليوم الثاني توقفت سيارة عسكرية امام معرض ريمون وهبط قائد المركبة وصاح في صوت جهور أين المدعو مارك، حتي أن المارة تجمعوا امام المعرض ليشاهدوا ماذا يحدث..

ثم عاد مكرر أين المدعو "مارك روبن" أخذ ريمون ينجي مارك خلفه ممسك بيده
ماذا تريد أيها القائد؟!

ماذا تريدون انه لم يفعل شيء!!
لا..

أن الضابط "ماكين" يريده يتحدث معه وسوف اعيدته بنفسه.. إذا اذهب معك يا مارك..
لا القائد يريد مارك بمفرده..

حسنًا يا جد سوف اعود لا تقلق.

ولكنه القائد "ماكين" القائد في جيش بريطانيا خذ حذرك يا مارك ولا تغضبه... انه غير رحيم بأحد احترس يا ولدي احترس!!
حسنًا يا جد..

سوف يكون كل شيء على ما يرام فأرادة الرب نافذة ولن يغيرها أفعال البشر مهما اختلف الزمان والمكان..

معسكر الجيش الانجليزي بأحدي المدن الساحلية

سيارات الجيش تستعد بالمعدات الحربية.. للخروج إلى المرفأ الساحلي وصوت أحد الضباط يتحدث في البوق.

هيا أسرعوا..

وصوت السيارات وطرق الجنود بأقدامهم للأرض كان يملأ المعسكر ضجيجا.

دخلت السيارة التي تحمل مارك إلى المعسكر وهو ينظر من الداخل إلى من حوله لا يري
سوي جنود ومعدات حربية وقلبه يرتجف خوفا..

لا يعلم المصير الذي اتي به إلى قائد الجيش، خاصة بعدما ذاع صيته في انحاء البلاد
وبطشه بكل من يقف بين يديه مذنبا.

ولكن أي جرما ارتكبت يا مارك

حتى تقف امام القائد؟

كان يدور بمخيلته أسئلة كثيرة؟ لا يعرف إجابة لها..

انتظر هنا حتى اخبر القائد بحضورك.. حسنا

سيدي القائد..

المواطن مارك روبن هنري..

ادخله وانتظر في الخارج، وفي رهبة شديدة دخل مارك حجرة القائد

والذي رغم حداثة سنه إلا انه حصل علي

امتيازات عسكرية كثيرة واستطاع ببراعة

المطلقه في فنون الحرب أن ينتصر لانجلترا وتحالفها في إحدى المعارك الحربية بل

استطاع أن يترك

حامية في إحدى البلاد العربية..

بل واستطاع أيضا أن ينال ثقة الملكة اليزبيث

وان ينفرد ببعض قرارات الجيش الهامة وامور الدولة العسكرية بعد الزعيم "ونستون"

كانت الغرفة مليئة بالنياشين والأوسمة العسكريه معلقة في ارجائها فقد نالها في المعارك التي انتصر فيها..

استدار القائد بكرسيه نحو الشرفة واشعل سيجاره السويسري، كانت الامطار لا تتوقف في هذا اليوم وصوت الرياح يهب في كل مكان، كل هذا ومارك يقف في فزع وخوف ورهبة من هول ما سمع من أحد الجنود أثناء سير السير نحو المعسكر حتى أن مارك قال لأحدهم:

الأيام تتعاقب مثل عقرب ساعة بيك بن والظلم لن يدوم طويلا مهما طال الزمان وإن اختلف المكان.

مارك لا يعلم لماذا طلب القائد رؤيته وهو ليس جندي في الجيش ولا علاقة له بالجيش ولا قائد الجيش..

تحرك القائد بكرسيه نحو أحد النياشين ممسكا به ثم قال:

اتعلم يا مارك لماذا اتيت بك إلى هنا؟

لا يا سيدي القائد وأنا في حيرة من ذلك ولكن شرف عظيم لي أن اراك لأول وهلة في حياتي..

عظيم..

ولكني رايتك من قبل مرتين..

الاولي

كنت في الحادية عشر وأنت تمسك بأدواتك السخيفة ترسم بها إحدى المناظر الطبيعية في الريف..

أتتذكر من كان يجلس بجوارك..

كان الخوف يغلف المشهد برمته..

والشعور بالرهبة والفرع بدأ يزداد أكثر فأكثر لدي "مارك".

نعم نعم أتذكر!!

وبصوت مرتفع..

إنها الأميرة "ديانا".

واللقاء الثاني..

كان بالأمس القريب حيث حفل تنصيب الملكة إليزابيث على عرش البلاد.

الحفل الذي لا يحضره غير النبلاء والأمراء والقادة فقط.

أما امثالك من العامة فليس لهم مكان بيننا..

ولكن يا سيدي.. اصمت..

حتى أكمل حديثي، ربما لم تتعلم آداب الحديث مع القادة أيها الحشرة.

أنت تعلم جيدا من هي الاميرة ..

أخبرني كيف دخلت إلى القصر الملكي ومن سمح لك بدخول البلاط؟

من الذي وجه اليك دعوة بالحضور؟

كيف ترقص معها وتتحدث معها يا فتي.

لقد جن جنونك إذا..

ويجب علينا أن نعلمك من جديد ربما تناسيت أمورا لا تنسى.

أنا احذرك أن تقترب منها أو تتحدث معها ثانية

ثم القى بسيجاره على الأرض وأستدار بكرسيه

وهب واقفا ممسك بتلابيب ثيابه وجره نحو الحائط ثم قال له عد من حيث أتيت ربما
كتب لك اليوم عمرا جديدا..

هيا اذهب لا اريد أن اراك ثانية ولا تخبر أحدا بما حدث هيا..

علت ابتسامة البلهاء وجهه ثم قال :أنت وقع عليك الاختيار لكي تنضم إلى جيش انجلترا
لتكون جندي في إحدى الحاميات استعداد يا بطل سوف تنضم بعد غدا هيا..

خرج مارج يتصبب عرقا من هول ما رأي في غرفة تشبه غرفة الأعدام يسقط تارة ويقف
أخرى حتى استطاع الخروج من أبواب المعسكر.

وبعد أن سار على قدمية كثيرا جلس يستريح بجوار أحد الأبنية القديمة في طريقة، و ما
إن هداء روعه اخذا يفكر لماذا كان يحدثني هكذا

لقد كاد أن يفترسني، وكأنه يريد التخلص مني بالقائي في إحدى الحاميات البعيدة عن
إنجلترا

حتي ابتعد عن الأميرة ديانا انه يتذكر منذ أن كانت تجلس بجواري وأنا أرسم بعض
اللوحات
أيام صغري..

انه حاقد عليك يا مارك.

ماذا أفعل الان؟

أظن أحد جنوده يسير خلفي منذ أن خرجت من المعسكر يجب أن أرحل من هنا وأبتعد
فورا..

ولابد أن أراها اليوم، يجب أن اخبرها بكل شيء.

ولكن كيف؟

وفي أثناء عودته إلى المنزل وفي ظلام الليل ظهر في الأفق من بعيد سيارة تضيئ انوارها في
عينيه فتوقف وتوقفت السيارة ونزل منها مسرعا ريمون.

أأنت بخير يا ولدي؟

نعم يا جدي بخير..

ولكن ماذا كان يريد منك القائد؟

هل هو من مزق ملابسك؟

لقد كنت عائد للتو..

ثم احس بيدها فوق رأسه فنظر أعلاه فرأى الأميرة.

فأراد أن يقف فلم يستطع فأشارت إليه لا تقف.

ماذا كان يريد منك ذلك الرجل يا مارك؟

نظر إليها قائلاً: يريد أن يبعدي عن البلاد في إحدى الحاميات العسكرية، ثم سقط مغشياً عليه من ارهاق الطريق وما حدث له عند القائد..

و ما إن أفاق وجدها تجلس في غرفته وبجواره تضمد جراح وجهه بيديها.

نعم يا مارك لقد جئت أحذرك من القائد جون لكنه فعلها قبل مجئي.

لقد تحدث إلى أمي وأوشي إليها بوشاية كاذبة أراد بها أن يبعدك عني..

ذرفت عينها دمعاً اني لن أعيش بدونك يا مارك..

لا تتركني!؟

انه يريد أن يتزوجني بعد أن قدم ولاته لأبي خاصة بعد انتصار الحلفاء في إحدى المعارك الهامة..

أنه ابن عمي أيضاً.. كما

هو يملك كل شيء في يده..

تحدث "ريمون" إذا كان يملك الحقد فنحن نملك الحب والخير في قلوبنا ولنسوف ينتصر
الخير على الشر يوما ما..

ولكني أملك سلاحا سوف استخدمه يا أبنائي..

إلى أين يا جدي؟

سوف أعود، فقط أعتني بمارك حتى أعود..

خرج ريمون مستقلا سيارته، و ما إن وصل سأله الحارس تريد مقابلة من؟

قلت لك مرار

القائد "ماكين"

في اجتماع هام بقائدي الجيش...

تقدم إليه أحد الضباط ثم اخذه إلى مكتب القائد.

كان القائد في طريقه للخروج من المعسكر، وفي أثناء خروجه من مكتبه شاهد الضابط
وبجواره "ريمون" فإشار بيديه فسمح له الحارس بالدخول..

فزع نظارة سوداء عن وجهه وأشار بها إليه في عجرفة شديدة انت ريمون؟

نعم انا..

جئت اليك من اجل..

اسمع يجب على حفيدك أن يبتعد عن الأميرة والا القيت به في غياهب السجون، قل له
ابتعد عن الاميرة.

اسمعت..

ولكني سوف أكون رحيما به وبك وارسل به إلى إحدى الحماميات لعله يتعلم فن التعامل مع
اسياده.

هيا ارحل..

وفي منزل "ريمون" ظل مارك مستلقيا على ظهره ممسكا بيد الأميرة مرتعدا..

لم يكن يخطر في مخيلته يوما إن دخوله قصر الملكة سوف يأتي عليه بوابل من العذاب
والاهوال.

قد لا أعود ثانية يا ديانا..

مارك!!

أخذت دموعها تهمر من عينيها وكأنها انهار تجري

لا يا مارك لا تتركني

سوف أبلغ الملكة..

أمسك يدها بشدة.. لا تفعلي ذلك

قد يحكم على بالإعدام في منفي مدي الحياة..

فانتي تعلمين جيدا قوانين الملكة..

ولكنها قوانين ظالمة..

ان الحب في مدينتنا يسير في طريق ملئ بالأسلاك الشائكة ولن نستطيع عبوره مادامت
أيدينا مرتعشة. وسينتصر الحق والحب يوما إن نتخلص من هذه الاسلاك.

اقصد..

سوف اعود يوما إن نتخلص من الطاغية.

ولكني لن أنساكي أبدا فالروح والقلب أصبحا في جسد واحد..

وكلما اشتاقت الأرواح تعانقت.

وتظل الروح الطيبة تعانق السماء أبد الدهر.

عاد ريمون، وهو يبكي وملابسه متسخة فبعد توسل شديد القي به القائد الطاغية على
الأرض غير عابئا بشيئته، ولا ضعفه.

ماذا حدث يجب أن تهرب يا ولدي لقد حدثني أحد الجند بأنه امر بأحضارك و سوف يزج
بك إلى السجن خفية ويخبر الجميع انه ارسلك إلى الحامية.. يجب أن تهرب يا ولدي هيا

وانت يا ابنتها الأميرة يجب أن تعودي إلى القصر قبل أن يعلم أحد بشيء.

هيا..

ولكن كيف يا ريمون.. يفعل كل هذا..

انه يتحدث من منظار القوة يا ابنتي، ويعلم انه لو علم أحد غيره بشيء لقضي امرنا

هيا.. هيا

ثم جلس متكأ على كرسي يبكي..

امسك مارك يديها ثم قال سوف اعود ثانية.. سوف اعود.. و ما إن رحلت الأميرة ببضع دقائق، حتي جاءت سيارة عسكرية ثم توقفت امام منزل "ريمون"

ثم سمع صوت طرق شديد بالباب يتلوه صوت

الضابط أمرا للجنود بانتشار في ارجاء المنزل..

فتح ريمون الباب في فرع ورهبة..

سيدي.. نريد المواطن "مارك روبن هنري"

وقبل أن ينطق ريمون خرج من خلفه مارك

انا المواطن مارك روبن..

اذا هيا معي..

احتضنه "ريمون" ممسكا به وبثيابه ودموعه تزرِف لا تذهب يا بني.. لا تذهب واخذ يتوسل إلى الضابط كي يترك مارك

الا انه لم يستطع.. مقاومة الجنود..

استقل السيارة العسكرية.. حزينا دامع العينين وهو ينظر لجده

في لحظة كأنها لحظة الوداع..

ثم رفع يديه مشيرا إلى جده بإشارة لم يفهمها أحد سواهما..

ظلت السيارة تسير قاطعة الكثير من الوقت متجها إلى مكان ما في جنوب البلاد..

ربما يكون مرفأ ساحليا عسكريا..

وربما كان معتقل سوف يلقي به هناك..

لكن الغريب في الامر انه ظل شارد الذهن كثيرا طيلة الطريق..

يفكر في مصير جده المسكين..

وحال الأميرة وهل سيتزوجها، الضابط ماكين

ام تمنع وترفض الأميرة ذلك؟

اخذ يتذكر شريط حياته مرورا بتلك الطاحونة الحمراء، والتي كان يلعب يوما عندها هو
والأميرة وعشقه لها منذ الصغر..

حتى اللوحات التي سطرها على جدران ليفربول وفي منتصف كل منها وجه لديانا..

وكيف كان يتخفى خلف اسوار القصر ليراها كل يوم في الصباح وهي تترجل في حديقة
القصر، وأحيانا يتغيب عن جده كي يراها حتى وان كلفه ذلك بأن يرتدي زي عامل البريد،
ويدخل إلى القصر، حتي يشاهدها او يسمع صوتها..

سمع "مارك" صوت أحد الجنود يتحدث بأنهم على مشارف إحدى المدن الساحلية، كما
توقع مارك من قبل بأنه سوف يلقي به في إحدى الحاميات التابعة للدولة..

الا انه لم يكن يعلم بأن نهايته سوف تكتب في تلك المدينة وفي مياه المحيط وسوف يلقي
بجسده طعاما للأسماك..

كانت القوات الإنجليزية تستعد للأبحار نحو مياه البحر المتوسط كي تنضم إلى الاسطول
الانجليزي المتمركز في المياه الدولية للبحر المتوسط..

والقي به في إحدى الغرف المظلمة ، ثم فتح أحد الجنود باب الغرفة والقي المياه شديدة البرودة في أرجائها.

ظل مارك حبيسا لمدة قاربت الشهر تقريبا..

وظن انه سوف يكون وحيدا في هذا القبر المميت إلا انه بعد دقائق من دخوله المحبس ، سمع صوت شخص في الغرفة يتألم من شدة العذاب الذي تعرض له..

فاخذ يتحسس الجدار مقتربا نحو مصدر الصوت

و ما إن اقترب منه في ظلام الغرفة فاصطدم به

فصاح فرعا!!

ووضع يده علي كتفه قائلا:لا تقلق اني مثلك حبيس القبر اللعين..

اخذ يخفف عنه شدة الألم..

لماذا جاؤوا بك إلى هنا؟

هداء روع الرجل وأخذ يتحدث إليه ويتبادل معه أطراف الحديث..

أتعلم يا فتى ان الذي جاء بي هنا هو قائد الجيش؟

يا رفيقي انه أيضا من أرسلني إلى هنا..

كان من شدة الألم لا يستطيع الرجل أن يتحدث كثيرا..

ولكن منذ متى وانت هنا في هذا القبر؟

انا هنا منذ سنوات قبل الحرب كنت قائدا في إحدى المعارك الحربية، وبالصدفة شاهدني القائد ماكين اللعين في إحدى حفلات استعراض الجيوش..

وفي أثناء تقدمي لنيل إحدى القلادات ونيشان الواجب العسكري..

وفور ما إن وقفت أمامه حتى تذكر أن والدي كان يعمل عند والده في المنزل خادما..

ولم يكن يخطر بمخيلته أن اصبح في جيش البلاد ضابطا، وكدت أن اصل إلى اعلي الرتب إلا انه تدخل بحكم قرابته من الزعيم تشيرشيل وأوشي عنده ثم صدر امر بإبعادي إلى إحدى الحاميات البعيدة حيث كانت الهند الشرقية..

وفي أثناء الطريق تم اختطافي والقي بي هنا منذ سنوات وانا لم أرى شمس الحياة..

لقد فقدت الامل في الخروج من هذا القبر ظل مارك يستمع وهو يعرض انامله بعد أن تأكد من مصيره ونهايته الحتمية.

ظلا يتحدثون كثيرا عن أحوال البلاد وما يحدث في المملكة وما يحدث في العالم من احتدام الصراع بين الحلفاء وهتلر..

وبعد فترة صمت عمت ارجاء الغرفة اسند مارك رأسه إلى الجدار الملطخ بالماء يفكر في مصيره الملعون.

وبعد ثلاثة أيام.

بلا ماء ولا طعام..

رحل.. الكهل عن دنيا الحياة.

كانت أيام عصبية لم يذق غير مرارة اليأس والعذاب في تلك الغرفة..

وفي صباح يوم لم تشرق الشمس فيه سوي لدقائق معدودة كانت الغيوم ملبدة في السماء
والامطار على مشارف السقوط ورياح شديدة كانت تحيط بالميناء.

وبعد أيام مضت على وداع الرفيق لم يكن يخطر في مخيلتي أن أرى ضي النهار الجديد في
حياتي البائسة إلا عندما اقتحم جندي محبسي وصعدوا بي مكبل اليدين من الخلف على
إحدى السفن الحربية التابعة للأسطول الإنجليزي..

أدركت أنهم سوف يلقون بي في الحامية بعيد عن البلاد.. كما سبق وتحدث القائد..

إلا أنني لم أكن اعلم بالمصير المكتوب لي..

وفي أحد الأيام في أثناء طريقنا في البحر المتوسط وفي أسفل الباخرة، حيث غرفة
السجناء، كنت وحيدا اجلس بها اتحرك في كل شبر من ارجائها اريد الخلاص من هول
الجحيم الذي ينتظرنى، فداهمتني فكرة الهروب أثناء دخول أحد الجنود لإحضار الطعام
فأنقض عليه، ومن ثم أهرب متخفيا في زيبه العسكري، ولكن قبلها سوف ادعي المرض
حتى لا يأتي أحد من الحرس معه، فأستطيع الهرب..

وعقدت النية على الهرب وفي ساعة متأخرة من الليل، اخذت اصرخ وأتوجع بداء المعدة.

فاحضروا لي الطبيب والذي بدوره قام بإعطاءي أقراص قمت بإخراجها من فمي فور
خروجه..

سمعت الطبيب يتحدث بأنها أقراص تخدير كي يستطيع أن ينام..

وما إن جاء في الصباح الباكر أحد الجنود يقدم الطعام، وكما توقعت جاء بمفرده بعدما
غادر الحارس الذي كان بالخارج إلى غرفة نومه نظرا لشدة برودة الجو وماذا يفعل بجانب
سجين مريض لا يستطيع الحركة من مخدعه.

ف ما إن وضع الطعام على مائدة في منتصف الغرفة، حتى أبرحته ضرباً، ثم قمت بخنقه إلى أن فقد وعيه والبسته ملابسي، ثم تنكرت في زيهِ العسكري وخرجت وأغلقت باب الغرفة..

ظل الجندي في غرفة السجن لساعات قبل أن اعلم الخبر المشؤوم..

حضر الطبيب إلى مكتب القائد.

وأخبره أن هناك أحد السجناء قد توفي وأنه يعترف بالتقصير تجاه واجباته، فقد تم إعطائه حبوب تخدير أدت إلى موته

بعدهما أخبره مساعده عندما ذهب إلى الغرفة ووجد السجن قد مات..

ثم جاءت إشارة لاسلكية الي القائد ..

بأن الحلفاء يريدوا أن يستولوا على إحدى الجزر في البحر المتوسط..

حيث انه في عام 1943 كانت قوات الحلفاء قد انتهت فعليا من طرد جميع القوات النازية عن شمال افريقيا وصارت تستعد لتأخذ طريقها نحو أوروبا.

وكان البديهي أن الخطوة القادمة ستكون توجه جميع قوات الحلفاء صوب جزيرة صقلية في البحر المتوسط ومن ثم التوجه نحو أوروبا..

فكان لابد من حيلة للحلفاء حتى يضللوا بها الألمان عن طريقهم، ويبعدونهم عن جزيرة صقلية

وفي ظل اشتعال الحرب كان من الطبيعي وجود جثث واشلاء في مياه البحر المتوسط ،
ربما تحطمت به الطائرة او غرقت به إحدى السفن الحربية، فاراد الحلفاء أن يستغلوا
ذلك لصالحهم

وانتهى الامر بأن يلقوا بأحدي الجثث في مياه البحر

مصحوبة برسائل كاذبه..

كأن الضابط القتيل كان في مهمة عسكرية وتحطمت به الطائرة..

ولكن كيف سيضحي الحلفاء بأحد الجنود ام سوف ينتظروا حتى يقتل احدهم..

سيدي القائد.. هل تعرف الفتى "مارك روبين" الذي ارسل إلى السجن ثم الحامية..

نعم لقد ارسلته إلى غياهب السجون بسبب افعاله الحمقاء..

أتذكر ذلك الوعد اللعين..

ولكن ما علاقته بأمرنا؟

سيدي القائد لقد مات بالفعل ليلة أمس نتيجة تناوله جرعة زائدة من أحد العقاقير
المخدرة..

اظنك تشير الي .. نعم.. نعم حقا

لقد تعجل الموت به.. كدت أن اعذبه لسنوات في المنفي وحيدا ولكنه تعجل الرحيل..

إذا أيها الضابط.. اعير لي انتباهك جيدا..

البس هذا الحقيير ملابس ضابط من جيش الحلفاء، مصحوبا بالمستندات الاتية: رسالة مضمونها أن قوات التحالف لن تمضي إلى جزيرة صقلية بل ستواصل السير نحو اليونان. وفي محفظته رسالة أخرى ولكنها غرامية، وتذكرتين للسینما أيضا..

كل ذلك سوف يصل اليك خلال يومان على متن إحدى السفن الصديقة للتحالف..

وبالفعل قاموا بإرسال الجثة على متن إحدى الغواصات ثم قاموا بتزويدها بسترة للنجاة كي تطفو على سطح الماء ويشاهدها الصيادون والذين قاموا بالفعل بإبلاغ القوات النازية التي كانت تنتشر على سواحل اسبانيا ثم وصل الخبر سريعا إلى برلين

وبذلك تم تضليل هتلر عن خطة الحلفاء بمشاركة

"دافنشي" القتل تحت مسمي ضابط في جيش الحلفاء..

سمع مارك الخبر الذي نزل عليه كالصاعقة بعدما علم انه كان معد لهذه المهمة الانتحارية وليس ذلك الجندي القتل..

كل هذا كان معد لك يا مارك فمن اجل السلطة وامتلاك العالم يدمرون ويقتلون كل هذا من اجل سلطة زائفة.

وراودته فكرة الهرب إلى أقرب مرسي حتى ينجو بنفسه من هول الحرب وجحيمها..

وبالفعل ما إن رست السفينة العسكرية للأمداد والتموين على إحدى الشواطئ حتى نزل مسرعا متخفيا في ملابس الجندي.

يختبئ في الميناء خلف الصناديق الخشبية الموجودة على رصيف الميناء

و ما إن رحلت السفينة حتى أخذ يتنفس الصعداء في جنح الليل..

مستندا ظهره إلى أحد أبراج المراقبة والتي صعد إليها بعد ذلك كي يتأكد من خلو الميناء من أي وجود لضباط الجيش فقد رحلوا جميعا تاركين خلفهم بعض الجنود المصابين جراء الحرب، ثم نظر على مداد البصر فوجد مستشفى ميداني ونظر من خلال إحدى النظارات الحربية فوجد مدينة تبعد عن الشاطئ قليلا..

اخذ يحدث نفسه: ربما وجدت المأوي أخيرا يا "مارك" ولكنني أشتاق إلى الوطن والي جدي ريمون والي حبيبتي ديانا فسلاما أمها الموج إلى حبيبتي ديانا وأخبرها أنني في أشتياق لرؤياها وسوف أعود يوم أن ينتصر الحق على سلطان الظلم والطغيان يوم أن يتحرر العالم من هؤلاء القتلة الذين لطحوا مياهاك بالدماء.

أخبرها أنني قادم..

**احذر من الشخص الذي لا ينتقم
منه**

فهو لم يسامحه..

ولن يسمع له أن تسامح نفسك..

جورج برنارد شو

بعدما تأكد من خلو الميناء من أي وجود عسكري حتى بدأ يتحرك باتجاه "الحي الأخضر"
الحي الساحلي والتي رأي أطرافه من خلال النظارة الحربية..

فتصادف مرور إحدى الدوريات العسكرية عند بوابة الميناء تسير خلفها ثلاث سيارات
محملة بكميات كبيرة من الذهب الخام في طريقها إلى مخازن المعسكر الإنجليزي.

إرتبك قليلا وسرعان ما استعاد أُنزانه مرة أخرى يجب أن اسير واثق الخطي حتى لا يشك
أحدا من الجنود بأمرى وقام بأداء التحية العسكرية للقائد الذي لم يعيره انتباهها.

ويجب أن اتخلص من هذه الملابس العسكرية على الفور..

وبعد أن ابتعدت الدورية العسكرية حتى بدا يتجه صوب المدينة.

كانت السماء تغدق بامطار غزيرة فظل إلى الصباح مختبئا داخل أحد الاكشاك
الخشبية.

كان اهم ما يميز اهل الحي الاخضر هو البساطة والحب والاحترام المتبادل بينهم.

الا "زرياب" ..

فقد شذ عن عادات أهل الحي بل أصبح

يمثل الخطر الحقيقي على أهل الحي الاخضر..

كان يتمتع بعلاقة قوية مع الجنود الانجليز

واحيانا يبيع لهم بعض لوازمهم من النبيذ الأحمر حتى انه اصبح بفضل نفوذه يتاجر في
النبات المخدر ورجاله يوفرون له الحماية في كل مكان حل به، بالإضافة إلى تجارة الذهب

الخام والذي كان الانجليز يستخرجونه من جبال المدينة الساحلية وكان زرياب يختلس الكثير مقابل صندوق أو اثنين من النبيذ الأحمر يقدمه إلى الجنود.

لم يستطع أحد من اهل الحي الأخضر أن يقف أمامه طيلة سنوات عديدة حتى أصبح نفوذه أقوى مع دخول الجنود الانجليز إلى الحي وفرضوا سطوتهم عليه.

في الحي الأخضر تجد أنواع عديدة من البشر ففي العطفة الاولى خلف بيت الساتي تجد منزل السيد "ابراهيم" اليهودي صاحب الخمسون عاما والذي يمتلك محال لبيع الساعات ورثه عن أبيه..

اشتهر عنه حب المال الشديد حتى أن ابنته كانت دائمة الشجار معه.. وفي العاشرة صباحا ذهبت "رشيل" إلى المحل وطلبت منه أن يعطيها بعض النقود حتى تأتي بالطعام فقد اصبح البيت خاويا على عروشه من أي طعام يؤكل يا أبي.

يا أبنتي لقد رأيت أمس بعض كسر الخبز بالأضافة إلى قطعة من الجبن وقليل من الحليب يكفي..

ان الحرب قد تطول وقد لا نجد شيء نأكل بعد اليوم..

هيا اذهبي إلى المنزل ولا تأكلي بدوني

ولسوف اعود بعد دقائق.

ما إن سمعت "رشيل" كلام ابها حتى انفعلت عليه يا ابي اخرج النقود من الصندوق لقد أصبحنا جوعي.

اما سمعت حديث أهل الحي عنك أنهم يتحدثون ويصفونك بالبخيل.

فليسامحهم الرب يا ابنتي..

يسامحهم الرب..

هيا أعطني النقود اريد شراء بعض الأسماك فلم نأكلها منذ زمن بعيد اني جائعة.

هيا..

يا ابنتي أنهم لا يعلمون شيء انهم اغبياء بل أنهم يحقدون علينا لأنني امتلك محل كبير وفي

مكان مميز ورفضت أن اهاجر مع أخوتي..

فليسامحهم الرب..

فليسامحهم الرب..

لا تريد أن تعطيني النقود؟

دخل إلى المحل في تلك الأثناء الشيخ "احمد مصطفى" خادم الزاوية.

السلام عليكم..

ماذا بك يا ابنتي؟

لا شيء يا شيخ أحمد انه لا يريد أن يعطيني النقود كي أشتري الطعام.

يا ابرهام اما يكفيك بخل يا صديقي!

حتى أنت يا شيخ أحمد فليسامحك الرب .

فرحت "رشيل" قائلة: سوف اشترى طعاما إذا..

أعطاها الشيخ بعض النقود فلمعت أعين اليهودي ربما لبريق النقود..

خرجت مسرعة باتجاه الساحل لشراء الاسماك..

لو انتظرت لأعطيها يا شيخ أحمد..

يا صديقي ابنتك لم تزل صغيرة رفقا بها..

ها.. حسنا

لقد تناسيت أن أرحب بك يا شيخ.. عندي تمر ساحلي جميل..

يجب أن تتذوقه بنفسك لقد اعددتة خصيصا لك تفضل.

ولا تخبر أحدا..

ابتسم الشيخ أحمد وهو يتناول التمر قائلا: بل سوف أخبر أهل الحي كله..

نظر إليه "ابراهيم" من تحت نظارته..

أهل الحي كله وأخذ يخفي كيس التمر في صندوق لديه.

فابتسم الشيخ احمد.. لا تخف يا صديقي سوف اخبر هم عن ساعتك ومجوهراتك

القيمة..

حقا يا شيخ احمد؟

نعم يا ابراهيم فالجميع يشهد بذلك وانت صديقي منذ الصغر.

ولكن الشيء الذي لا أعرفه لماذا لم تغادر مع بني جلدتك إلى أوروبا فلم يتبقي أحدا غيرك

هنا؟!!

أسمع يا شيخ أحمد لقد قدم جدي إلى الحي الأخضر منذ قديم الزمان وعاش بين اهله وتربي بينهم ولم يجد منهم غير كل الخير.

فقد هرب جدي من أوروبا بعدما قام هتلر النازي بعمل المحرقة الكبرى والقي بجثث الكثير من اليهود بالأضافة إلى معسكرات التعذيب التي لم تنقطع طيلة السنين.

كان جدي يمتلك محل لتجارة المجوهرات الثمينة في المانيا الشرقية ومع اشتعال الحرب العالمية أمر هتلر بطرد جميع اليهود من المانيا ومن كل الدول الصديقة.

كان جدي يجلس في سلام يتصفح الجريدة كعادته كل صباح وبدون سابق انذار سمع صوت الطائرات الحربية في سماء حي كهذا كنا اليهود نعيش فيه في سلام حتى سقطت تلك القذائف فوق رؤسنا وسقط منا مئات القتلى والجرحى وفي المساء اصبح الحي ثكنة عسكرية وانتشر الجند الالمان وتم القبض على الكثير من اليهود وهرب البعض ومعهم النساء وظل جدي واخوته في معسكرات النازيه يتعذبون ليل نهار ومن راودته فكرة الهروب كانت طلقات البنادق تحاصره.

وكيف جاء جدك إلى هنا يا ابرهام؟

في ليلة مطيرة عزم جدي واخوته الثلاثة على الهرب وبالفعل استطاعوا الهرب من المعسكر رغم محاولات الجند الالمان ابعادهم بعد أن قاموا بإطلاق وابل من الرصاص نحوهم ولكنهم قد فعلوها بالفعل بقطع الاسلاك الشائكة وقد هربوا بالفعل حتى التقوا بأصدقائهم في قرية على اطراف المانيا النازية ورحلوا إلى هنا.. خذ هذا التمر كله لك خذ.

كانت الدموع تغالب ابرهام حتى أن الشيخ أحمد اخذ يخفف عنه آلامه رغم أنه يعلم علم اليقين أن ابرهام دائما ما يقوم بتحويل الأمور.

ابتسم الشيخ قائلا: كفي يا ابرهام.

ولكن لدي سؤال دائما يؤرقني.

تحدث شيخ أحمد فأنت صديقي منذ الصغر.

لقد هاجر اخوتك من اليهود متنقلين بين البلاد والعواصم فما السبب في استقرارهم هنا في الحي الأخضر.

يا شيخ أحمد الحي الأخضر أرض طيبه والأرض الطيبة لا تنبت غير النباتات الصالح للحياة، الحي الأخضر هو الوطن بالنسبة الينا بعد أن تنقلنا بين كل البلاد فما وجدنا في غيره سوي المعاملة السيئه وكما إن الأسماك لا تستطيع التنفس سوي في المياة هكذا الحي الأخضر بالنسبة الينا الروح والفداء والتضحية هو كل شيء في قلوبنا من اجلها دافع العم "شمعون" عنه عندما قدم الاحتلال الإنجليزي إلى هنا منذ سنوات ومات في سبيل الدفاع عن ارض الحي وعن نسائه.

عجبا لك يا صديقي!!

وما العجب يا شيخ احمد؟!

الغرباء يدافعون عن أرض ليست أرضهم وأهلها يسرقون خيراتها ويتهبون ثرواتها من اجل المال..

ماذا تقصد شيخ أحمد؟

لا شيء يا صديقي.

وكأن الشيخ أحمد يقصد زرياب ومن على شاكلته ممن يتعاونوا مع جنود الأحتلال البريطاني. كل اهل الحي يحبون الشيخ أحمد ويوقرونه..

بينما سيارات الجيش الإنجليزي تطوف ليل نهار لحفظ الامن داخل الحي الأخضر.

خاصة بعدما أنتشر في الفترة الأخيرة عن نية بعض الشباب الذي يطلقون على أنفسهم "فدائيون"

التعرض لقوات وجنود الجيش الإنجليزي.

مع ساعات الظهيرة استقل "زرياب" سيارته السوداء متجها إلى معسكر الجند الانجليزي محملا سيارته ببعض اللوازم من نبيذ وخمور وما شابه.

كان لا يأتمن أحدا على سرا له، وعرف عنه الحرص الشديد وانطلق بسيارته فشاهد فتاة تسير بالقرب من اطراف المدينة شقراء اللون بارعة الجمال.

فاخذ يسير ببطء خلفها يراقبها ثم أسرع فجأة وتوقف امامها.

ففزعت "رشيل" حتى انها أطلقت في وجهه وابل من السباب حتى يكف عن مطاردتها كلما شاهدها.

تدخل صياد كان يسير بالقرب حاملا شباكه، وهم أن يبعدها عن "زرياب".

ابتعدي انتي يا ابنتي.

ماذا تريد منها أيها البغل ابتعد عنها ولا تقترب.

أتقصصني أنا يا وقح؟

وهل يوجد بغل غيرك في الحي.

زرياب كان يتميز بجسده الثمين ورأسه العظيمة.

لسوف أعلمك من أكون أيها الغبي، لعلك لا تعلم من يكون "زرياب".

فهم ينزل من سيارته ليتشاجر معه..

فأخذت "رشيل" تصيح بصوتها المرتفع.

أنقذوني.. أنقذوني

فاجتمع المارة.. حتى أستطاعوا أن ينقذوا الصياد من ايدي "زرياب".

فأستقل السيارة بعد تمزق قميص كان يرتديه، وأسرع بالسيارة إلى معسكر الجيش الإنجليزي.

لسوف اعود ثانية أيها الغبي فلقد أنقذك المارة من يدي.

وانفض المارة ولم يتبقى غير الصياد و"رشيل" تقف بجواره تتعجب من امره.

ثم سألته؟

هل تعرفني يا فتي؟

لا ولكنني شاهدت البغل من بعيد وهو يسير خلفك بسيارته ثم أراد أن يعتدي عليك..

ضحكت "رشيل" بصوت يجلجل كالخلخال الذي كان يزين قدميها.

لما تضحكين؟ لقد انقذتك..

لا لا شيء..

ربما لأنك لست من اهل الحي لو تعرف "زرياب" او البغل لما تعاركت معه.

ثم ضحكت ثانية..

انى أشرك على شجاعتك وشهامتك.

من أي البلاد انت ولما اتيت إلى هنا؟

انا صياد غرق القارب الذي امتلكه في البحر بعدما هاجمتنا إحدى القوارب العسكرية.

ولكني أرى إنك تحمل اسمك في هذه الشباك.

نعم أردت أن ابيعها في سوق الحي أين أجد السوق.

لا قبل أن اشترى منك أولاً.

ارادت "رشيل" أن ترد له الجميل نظير تخليصها من "زرياب".

واشترت منه جميع ما معه من اسماك حتى أنها كانت زائدة عن حاجتها.

ولكن المال يحقق المستحيل..

كانت تختلف كثيراً عن بني جنسها من اليهود فكثيراً ما نرى يهودياً مثل أبيها وجدتها

شديدي الحرص على المال، وكثير ادعاء للفقير.

لعل ذلك السبب الذي جعل اهل الحي يحبونها وجعلهم يتقربون منها ابنة الثمانية عشرة

عاماً..

خذي ما يكفيك وانا لن أخذ أي مال قط.

لا.. لن أخذ شيء قبل أن تأخذ المال.

هل تعرفني حتى لا تأخذ مني مقابل.

ربما لو كان ابها "ابراهيم" في الموقف هذا لأخذ الفتى الصياد فوق الأسماك أيضا..

انصرفت "رشيل" وفي طريقها إلى منزلها، راودتها فكرة رد الجميل للشيخ "احمد"..

ذهبت إلى بيته فخرجت لها امراته السيدة "فاطمة"

بابتسامتها المعهودة.

تفضلي يا رشيل تفضلي..

لا فقد تأخرت على ابي، ولكن الشيخ أحمد أرسل هذه الأسماك اعدتها فهو قادم بعد قليل.

احتفظت لها ولأبها بما يكفيها من طعام وانصرفت إلى البيت كي تعد الطعام قبل أن يأتي ابها..

وامتلك "ديفينشي" المال بالإضافة للقليل من الأسماك احتفظ به في الشباك أيضا.

كي يستطيع أن يدخل إلى الحي بصفته الصياد الذي هاجمه هو وأصدقائه زورق عسكري في مياة البحر المتوسط واستطاع النجاة بمفرده تلك الكلمات التي كان يرد بها على كل من يستفسر عن هويته.

وكان يمتلك ساعة انجليزية الصنع اهدتها له "ديانا" وهي تجلس بجواره في منزله كي تكون تذكرا حب ومودة بينهما، لعلها كانت توقن بالنهاية.

ولكن المال الذي حصلت عليه من الفتاة الشقراء لا يكفي لشراء فرش والوان وغرفة تصلح للمعيشة.

ماذا افعل؟

نظر إلى الساعة والتي كان يعلقها في سلسلة بربقته واخذ يفكر في مصير حبيبته ديانا، وحالها بعد كل ما حدث.

وماذا عن ريمون جده العجوز ربما لن يستطيع أن يري جده ثانية.

وكلما هم أن يتخلص من الساعة مقابل المال يعود على عقبه مرة تلو الأخرى.

وماذا بعد يا مارك.

لا لن اتنازل عن هذه الساعة ابدا..

ولكن يا "مارك" يجب أن تحصل على غرفة وفرش والوان يجب أن تمارس هوايتك في عالمك الجديد.

لا بل سوف ارهنها عن أحد محال الساعات حتى أعود مرة أخرى ثم استردها بعد ذلك.

بادر بسؤال أحد المارة عن محال لبيع الساعات

فلم يأخذ ردا شافيا.

ثم سال اخر فوصف له محل "ابراهيم" اليهودي بجوار العطفة.

إذا سوف ارهنك يا حبيبتي ولكني لن اتركك ابدا ولسوف أستردك في يوم ما..

دخل "مارك" إلى الحى وأخذ يسأل المارة أحدهم تلو الآخر حتى وصل إلى محل "ابراهيم".

ظن "ابراهيم" انه لص تحصل على الساعة عن طريق السرقة نظرا لملابسه المتسخة والمملطخة بسواد الفحم الأسود فعارض أن يشتريها.

قلت لك لا اريد أن ابيع ساعتى..

فقط اريد أن تضعها عندك وتعطينى ثمنها، وسوف اعود يوما وارد اليك امالك.

اخذ "ابراهيم" يفحصها ويدقق النظر فيها فوجد الختم الملكي بالإضافة إلى أحرف اسم الأميرة مدون في مرآتها.

وصادف مرور الشيخ أحمد بالخارج فدخل ثانية

"ابراهيم": الم تعود ابنتك يا صديقي؟

لا بل عادت هي الآن في الطريق إلى المنزل.

هيا أعطني المال.

شاهد الشيخ "احمد" الفتى يقف ويلح في طلب المال ولكن "ابراهيم" مع انه يعلم قيمة الساعة الملكية.

الا انها أراد أن يبخر ثمنها.

فقال له الشيخ أحمد ماذا تريد يا فتى؟

اظن أنك غريبا عن مدينتنا وعن الحي.

إني صياد اعمل في البحر غرق القارب بينما نجوت بمفردي دون الرفاق وأريد بعض المال حتى اشترى غرفة لي واغراض.

إذا اعطه ساعتى يا "ابراهيم" أو المال.

الساعة بخمسة من النقود..

لا اريد شيء..

انها لا تقدر بئمن عندي.

ها.. سوف اعطيك سبعة من النقود تفضل.

لا اريد..

بل سوف اعطيك عشرة واقبل..

اخذ الشيخ "احمد" الساعة من يد "ابراهيم" ثم قال له هيا يا فتى..

فسوف املكك غرفة وما تريد حتى تعود إلى اهلك.

فرح "ديفينشي" من حديث الشيخ أحمد فقد استطاع أن يحتفظ بالساعة.

وفي المقابل خسر "ابراهيم" الكثير بعدما تأكد أن الساعة ملكية.

الا أن الحرص على المال جعله يفقد الساعة الملكية.

ها.. لعله لص سرقها.

سوف اغلق المحل الآن واذهب إلى المنزل..

أخبرني يا فتى ما اسمك؟

ادعي "مارك".

من أي البلاد انت؟

من جنوب اليونان، خرجت مع زملائي في رحلة صيد ولكن سقطت إحدى القذائف فأغرقت القارب.

أريد أن اشتري غرفة تصلح للمعيشة ولكن أموالى لا تكفى..

هل تساعدني وسوف اعوضك كثيرا..

لا تقل هذا يا فتى فأنت مثل ولدى "قاسم".

فهو تقريبا في عمرك وبلغ عشرون عاما.

فابتسم "مارك" شرف لى يا شيخ.

أين سنذهب الآن؟

سوف نذهب أولا لتناول الغداء ثم اعد لك الغرفة الملحقة بالمنزل فهي خاوية لا يوجد بها غير أغراض "قاسم" ولدى..

أخشى أن يعترض او..

لا لا تخشى شيء فتى مثلك يجب أن يقف الجميع بجواره..

ثم انها أغراض زائدة عن حاجته وبعض أدوات الموسيقى.

اتقول أدوات موسيقيا؟

نعم..

انه عاشق أيضا لقراءة الكتب والمجلات.

أخذ مارك يحدث نفسه قائلا: ربما وجدت ضالتي هنا..

وسوف تقوم انت و"قاسم" بتنظيم الغرفة ولكن بعد أن تتناول معنا الغداء..

عندي سؤال يا شيخ احمد؟

تفضل يا ولدي!

لما تبغضون الانجليز على حد قولكم فقد سمعت أحد المارة يتحدث عن الجنود الانجليز وبريطانيا وانهم أعداء..

يا ولدي الانجليز يحكمون بالحديد والنار ونحن في حالة حرب لا يعلم أحد نهايتها انظر لنفسك واصدقائك وماذا حدث لكم وأنتم لا طاقة لكم بهذه الحرب سوي أن قذيفة سقطت فوق رؤوسكم وأنتم تسعون في سبيل ارزاقكم ولمدينتك وماذا حل بها من دمار لأنها وقفت على الحياد.

هل لو دخل المستعمر أرضكم ستفتحون لهم ايديكم بالسلام أم تدافعوا عن الأرض والمال والعرض والشرف؟

بالطبع لا فالفطرة السليمة تأتي وجود المغتصب للأوطان وبأي حال الزمان هو الفيصل بيننا وبينهم وسوف نحرر أرضنا بأيدينا.

اسمع هيا بنا قبل أن يسمعنا أحدا من اعوانهم..

وبعد أن تناول مارك طعام الغداء الشهي جلس بجوار "قاسم" يحادثه ويسامره..

نظر اليهما الشيخ أحمد قائلا: ها أنا الآن انام مطمئنا فقد أصبح لدي رجلان.

حمد لله.

ابتسم مارك قائلا: الشرف لي يا سيدي.

وضحك قاسم..

نعم يا أبي حقا وكأني أعرفه منذ زمن بعيد..

إذا لما تهدرا الوقت وانتما في مكانكما هيا اذهب وسامر صديقك في الغرفة واعداهما جيدا للمبيت والمعيشة.

وفي أثناء تجهيز الغرفة للنوم.

سأل مارك صديقه احقا ما سمعت إنك تعشق الموسيقى والالحان؟

نعم يا صديقي فأني قد قرأت كثيرا عن الموسيقى فهي فن هادف بالاضافة إلى أنها نزهة للعقول..

يا للروعة أنت شاعر أيضا..

والدي هو صديقي منذ الصغر وهو يعلمني كيف أكون رجلا شابا قويا فأنا اعمل الآن وابعع الكتب والروايات والقصص القديمة والحديثة والمجلات في محال صغير امتلكه.

تعجب مارك من حديثه!

انت عازف للعود يا صديقي.

نعم..

امسك "مارك" العود وبدأ يحرك أوتاره ثم توقف فجاءة بعد أن داهمته دموع عينيه..

لما توقفت يا صديقي الحانك رائعة حقا.

لما تبكي يا فتى؟

أن هذه الالحن تذكرني بجدي فأنا لا اعلم مصيره الآن وقد دارت رحى الحرب..

كان لا يزال يخفي هويته الحقيقة بعد..

سوف تعود إليه عما قريب وسيسعد بلقائك

وتعزفا سويا هذه الالحن.

ما اسم هذه المقطوعة؟

إنها الحان الفصول الأربعة.

ربما مر اسمها على اذني من قبل.

لا بل قرأت في احدى الكتب انها أسطورة أوروبا.

نعم..

ولكني اعشقها منذ الصغر يا "قاسم".

إذا أنت قارئ للكتب والمجلات الإنجليزية والعالمية أيضا يا مارك.

لن نفترق ابدا وكما قال أبي قد أصبح لديه رجلان.

ابتسم مارك..

هون عليك يا "مارك".

وهيا ننهي ترتيب الغرفة حتى تستطيع أن تستريح من عناء ما لاقيته في رحلتك، وسوف

نكمل حديثنا فيما بعد.

وبعد أن قاما بترتيب الغرفة تركه "قاسم" ليستريح.

فخلد "مارك" إلى النوم.

واخذ يتم تم بين جنبات نفسه..

هل سأظل شريدا في البلاد بلا وطن؟

كيف حالك يا ديانا بعد أن تخلص مني القائد؟

هل حقا اوهمها بأني فارقت الحياة بعدما القوا بجثتي في البحر ووضعا متعلقا تي الشخصية بها.

كيف حالك يا جدي؟

ثم خلد إلى النوم بعد حديث لم يدم بينه وبين نفسه طويلا.

ربما أخذه سبات النوم فخلد يستريح من عناء واهوال ما حدث له.

وفي ذروة حرارة الصيف كان "زرياب"

على أبواب المعسكر يتحدث مع أحد الجنود فقد أصبح صديقا مقربا يعرفه القاصي والداني ولما لا وهو أحد موردي الخمر والنبيذ بالإضافة إلى الأوراق الازمة للمكاتبات والمراسلات العسكرية..

يعرفه قائد الحامية بل يجلس معه كثيرا ويسامره ليلا في إحدى الملاهي الليلة الموجودة بأطراف المدينة.

والتي يديرها "زرياب" بنفسه مستعينا بالجنود الانجليز كدرع يحتمي به من بطش اهل العي الأخضر..

وما إن دخل المعسكر حتى ذهب إلى غرفة القائد والذي ما إن شاهد سيارة زرياب حتى امر بأنزال محتويات سيارة "زرياب" من الأوراق الصفراء والتي قام بدوره مسبقا بتوريدها سرا من احدى البلاد القريبة عبر أحد أصدقائه والذي يعمل في أحد المطابع الخاصة بأحد المجلات اليومية..

ثم وجه القائد أوامره بتحميلها بأنواع مختلفة من الفاكهة التي يحتاج إليها زرياب في الملهى.

والتي تأتي عن طريق أوروبا مع سفن وناقلات الجنود.

اهلا بك "زرياب".

صديقي الكونت "يوليان".

انا حزين لعدم رؤياك منذ الشهر الماضي..

كان "زرياب" شخصية سمجة والكونت يعلم ذلك إلا أن المصالح أحيانا لا تعرف غير مثلها.

لقد كان لدي بعض المهام الخاصة بوصول سفينة الجند التي رست للأمداد والتموين.

وكان يجب أن أكون في انتظار قائدها..

ومع اشتداد الحرب فأصبح من الصعب أن اترك الكامب كثيرا..

نعم يا صديقي ولكن الليلة لن اقبل لك عذرا..

وأبتسم بابتسامة سمجة والتي كان يبغضه الجميع بسببها حتى قائد الانجليز صديقه.

حدثني يا "بغل" عن هؤلاء الأولاد الذين يطلقون على أنفسهم فدائيون؟

بغل.. بغل!!

استشاط غضبا من حديث القائد..

وكانك شاهدت ما حدث اليوم!

عن أي شيء تتحدث يا زرياب؟

سوف اقضي على حياة ذلك الملعون..

كانت الأخبار قد وصلت إلى الكونت فعليا قبل وصول زرياب عن طريق ضابط الدورية الإنجليزية والذي شاهد ما حدث لزرياب في الصباح.

ضحك القائد بصوت مرتفع فنظر إليه زرياب وهم بالانصراف.

فصاح القائد توقف.

إني أمزح معك يا صديقي.

ولكن من الذي مزق ملابسك هكذا؟ من ذلك الفتى المغوار الذي يستطيع أن يقف امام زرياب؟

لا لا فقد أصبحت ضعيفا يا زرياب.

بل أن زرياب لن ولم يكن ضعيفا ابدا.

بل أولي لك أن تخبرني عن هؤلاء الفدائيين والذي ذاع صيتهم في انحاء البلاد شرقا وغربا وتلك المنشورات الورقية التي تلقي في شوارع الحي ليلا.

وأصبح جنود المملكة معرضون للموت ليل نهار وانت ورجالك إلى الساعة لا تعلمون عنهم شيء..

يا زرياب يا صديقي إني أراي أن الشيخوخة قد دبت عروقها في وجهك والشعر الأبيض قد أنتشر في راسك فعليك أن تجلس في منازلكم أنت ورجالك وليكن عهد بقطع رؤوسهم بعد تقديمهم إلى المحاكمة وفي أقرب وقت.

لقد تفلت أحدهم من يد أحد رجالي أول أمس عند العطفة.

بعدها شاهد أحدهم يجر أحد الجنود وهم بقتله.

صاحا القائد..

ولما لم يصوب نحوه طلقات الرصاص الذي يأتي اليك كل أول شهر نظير حمايتك للجنود.

لقد تيقنت أنك جبان.

لا لست جبان.

بل إنه تفلت وأختفي كالشبح في الظلام ليلا ولم أستطع أن أحدد مكانه.

والنتيجة..

قتل أحد الجنود المخلصين من أبناء بريطانيا العظمي.

بفضل غبانك!

كفي يا كونت.

كفي وعهد على زرياب أن يكونوا جميعا امامك مكبلين.

عندها لن يكفيني اعتذار دولة بريطانيا العظمى بمفردها..

بل اعدك باعتذار مكتوب من دول الحلفاء إذا فعلتها يا صديقي لقد أصبح الفدائيون خطر محققا علينا.

لقد زاد موقفي سواء امام الزعيم تشيرشيل بسبب هؤلاء الاوغاد.

زرياب انت صديقي المخلص

سيدي الكونت سأنتظرك الليلة في الملهي.

حسنا.. إلى اللقاء.

خرج زرياب متجها إلى الملهي الذي يملكه بعد أن قام الجند الانجليز بتحميل السيارة بما لذ وطاب من فاكهة متنوعه.

وفور وصوله إلى الباب الخلفي للملهي كان ينتظره ثمانية من رجاله يتقامرون لعبة النرد أمرهم بأن يحملوا الأغراض إلى الداخل وفور أن ينتهوا يصعد الجميع إلى الغرفة التي تقبع في الطابق الاعلى لأمر هام وخطير.

وفور انتهاء العمال ورجاله من رفع الأغراض التي بداخل السيارة صعدوا إلى مكتب زرياب عبر السلم الخلفي..

كان زرياب يمسك بسيجار إنجليزي تحصل عليه من الكونت "يوليان" قبل خروجه من مكتبه.

أتعلمون جيدا اننا لولا وجود الجند الانجليز في المدينة وخاصة ذلك الحي اللعين لأصبحنا جميعا بين مشرد في الطرقات وقاطع للطريق بين المدن والجبال.

وبصوت واحد حقا يا زرياب.

نظر إليهم ثم ردها عليهم: حقا يا زرياب.

أنتم أغبياء وسوف أستغني عنكم جميعا أن لم تثبتوا لي وفائكم وتخلصوا لي.

أخبروني أيها الاغبياء كيف قتل الجندي الإنجليزي ليلة أمس في العطفة البحرية للحي اللعين.

أجاب أحدهم بينما كنت أسير معه كي احضر السجائر والكيف وفي أثناء انتظاره عند العطفة وفي لحظة الرجوع شاهدته يسير خلف إحدى الفتيات وفي لمح البصر اختفي عن عيني.

فأسرعت إليه فلم أجد غير جثة هامدة بعد أن سرقوا أمواله وسلاحه.

لقد اختفوا فور قتله مباشرة يا زرياب.

يا لك من أحمق غبي.

يا بغل كيف تركه؟

والضابط "جو ميز" أيضا قتل بنفس الطريقة اول أمس عند اطراف المدينة.

وكذلك "سوليان" وغيره..

هذا الحي اللعين سوف يفتح علينا وعلي أهله أبواب الجحيم ونار لن تنطفئ ابدا وقد اخدمنا فتيل تلك النار منذ أعوام وانت تعلم يا أرشد ذلك جيد.

الكونت اللعين يتوعد الجميع..

وها أنا اتوعدكم.

يجب أن تأتوني بهم أيها الأوغاد والا سوف أقتلكم جميعا ولقد اقنعت الكونت "يوليان" بأن يحضر إلى هنا.

يجب أن تكونوا جميعا في يقظة ولا بد أن يخرج من هنا وهو في قمة السعادة.

اسمع أخبر "جميلة" والبنات بأن يكونوا علي أهبة الاستعداد.

دلف قاسم نحو غرفة مارك وطرقه بيده لكنه كان غارقا في نومه ،هيا يا فتى انهض أن سواد الليل يكسو ارجاء الحي..

مارك..

طاب مساءك يا صديقي.

كيف حالك الآن لعلك بخير؟

نعم بخير شكرا لك يا عزيزي.

اتعرف أين أجد أدوات وفرشاة للرسم يا عزيزي.

أدوات للرسم.. الامر صعب.

ولكن سوف نجاهد سويا حتى احضرها لك..

أخبرني انت رسام أيضا بجانب هواية عزف الموسيقى اذا.

نعم يا عزيزي انى اعشق الرسم تمام مثلما أحب عزف الموسيقى.

فقد كان لجدي فضل كبير انه معلمي واستاذي والذي هداني مبكرا لكيفية استخدام الأدوات الموسيقى.

وهواية الرسم يا مارك.

هواية الرسم اكتسبتها بالممارسة منذ الصغر أيضا ولكني اعشقها أكثر من العزف.

انت مبدع..

تعمل صياد لكي تنفق على نفسك وجدك وتشتري أدوات الرسم أنا فخور بك وربما جدك أيضا.

ولكن عندي سؤال يراودني منذ أن رأيتك في الظهيرة وتحدثت معك.

تفضل يا عزيزي!

ان ملامحك تشبه كثيرا جند الانجليز بل اكاد أرى وجوههم في ملامحك..

اضطرب مارك وابتسم في خوف..

لا أخفى عليك يا عزيزي ان لجدي في شبابه مغامرات لا تعد ولا تحصى مع فتيات أوروبا.

ثم ان جدتي اسبانية المنشاء.

تمام.. تمام.

لا ترهق عقلك يا قاسم بهذه الأمور أخبرني الآن أين أجد ادوات الرسم.

سوف نخرج سويا بعد ساعة من الآن ربما نجدها في أطراف المدينة.

لقد راودتني فكرة الآن أن نذهب الليلة إلى ملهي زرياب للترويج عن أنفسنا حيث الرقص
والمغني واللهو.

والشيخ أحمد يا عزيزي..

لا عليك لقد ضقت زرعا من حديثه اني شاب وأريد أن الهو واتنزه واشاهد الجميلات والتي
يتحدث ابي كثيرا عن حرمة رؤيتهم.

ولكني شاب وامتلك مشاعر واحاسيس.

أظن أن هناك شيء ما يا قاسم تخفيه يختئ خلف عينيك.

نعم يا صديقي انها الفاتنة جميلة..

وهي حقا جميلة والتي يهوي تحت قدميها الكبار قبل الصغار من الرجال.

انها حبي الأول بل حبي الوحيد اه يا صديقي أه..

سوف تراها الليلة وهي سوف تحضر لك كل أغراضك ولكن يجب إلا يعلم أبي بأمرنا.

وكيف سنخرج الان؟

سوف يرانا اباك لا محالة..

لا بل أن أبي لا يخرج من خلوته ليلة الخميس قبل الفجر أطمئن.

وسوف نذهب ونعود بدون أن يعلم أبي بالأمر ولكن عليك أن ترتدي هذه الملابس
العسكرية.

وما هذه الملابس يا قاسم انه تشبه ملابس الجنود الانجليز!!

نعم إنها لجندي انجليزي واطن أنك تتحدث الإنجليزية او البرتغالية او لم تكن جدتك أسبانية المنشأ يا صديقي؟

نعم ولكن!!

يا مارك حتى نستطيع أن ندخل إلى الملمى الليلي يجب أن نكون من رواده.

ماذا تقصد بذلك يا قاسم..

تلعثم قاسم ضاحكا اقصد أن الملمى رواده من الجند الانجليز والبعض من الأصدقاء من شباب الحي والاحياء المجاورة وربما لو ذهبنا بهيئتنا لأنكشف أمرنا ويتم منعنا من الدخول من بادئ الامر..

لقد ضاع الكثير من الوقت في الحديث يجب أن نخرج الآن حتى لا يشعر ابي هيا يا مارك..

خرجا وقد أردت يا ملابس للجند الانجليز احداها ملطخة من الخلف ببقعة دائرية لونها يشبه لون الدماء.

حتى أستوقفه أحد ضباط دورية سيارة مستفسرا عن ذلك اللون الأحمر أجاب مارك بعد أداء تحية بدون سلاح.

ان قليل من التبيذ سقط على ملابس سيدي الضابط واعدك بتنظيفه الان.

إذا اذهب وتخلص منها على الفور أيها الجندي لا يليق لك أن تمثل دولة الحلفاء بملابس متسخة هيا حتى لا أزعجك في السجن بعد محاكمة عسكرية.

قدما له التحية العسكرية وانصرفا نحو ملهي زرياب.

هيا يا صديقي حتى لا يستوقفنا ضابط اخر أن جميلة في انتظارنا..

عجيب امرك يا قاسم من أين جئت بهذه الملابس العسكرية وما سر البقعة الحمراء التي بملابسك انى اظنها دماء يا عزيزي..

دماء أي دماء لا لا بل انه قليل من النبيذ أولم تسمع حديثي مع ضابط الدورية..

ان جميلة سوف تسعد برؤيتنا فهي صديقتي منذ الصغر بعد أن رحلت والدتها إلى الخالق في سن الخامسة اظنها تشبهك كثيرا يا مارك ملامح وجهها انجليزية أيضا ولكن زرياب قد أستطاع بمكره ودهائه أن يجعلها تحت طوع إرادته لشيء لا يعلمه أحد حتى اليوم. ولكي اريد أدوات الرسم يا قاسم.

سوف تتولي جميلة ذلك الأمر هيا ولا تتحدث كثيرا لقد صادف مرورها اليوم في الحي وتحدثت معها في كل شيء.

وكما المعتاد كل ليلة والملمهي يزداد رواده اليوم بعد اليوم وقد ذاع صيته في انحاء الاحياء المجاورة رغم غضب الكثير من أبناء الحي الشرفاء والذين ما زلوا على مستمسكين بعاداتهم وتقاليدهم.

الا أن لكل عصر لغة ولكل لغة حديث وكلمات وحديث العصر الآن هي جميلة التي أسرت قلوب الكثير من الشباب من قبلهم الضباط والجنود الانجليز.

وبالطبع كان المستفيد الأول من كل هذا هو مالك الملمهي زرياب البغل.

ولكن كان هناك مستفيد آخر من وجود ذلك الملمهي ولكن بشكل غير مباشر وهو رجل لم يتوقع أحدا من أبناء الحي أن يكون مستفيدا من مكان لبيع الخمور ومرتع لمشاهدته الفحش والرذيلة.

الشيخ احمد..

امام مسجد العي الأخضر صاحب الخلق والمثل، والذي كان يجله صغير العي قبل كبيرة حتى زرياب كان يتحاشى أن يتحدث معه او يراه، حتى لا يسمع منه ما يزعجه. فقد كان لتجمع الجند الانجليز في وكر زرياب حافزا للشيخ أحمد للتخلص من الاحتلال الذي عتس في ارجاء العي لسنوات تحت شعار الحماية والسيادة وكما حدث ليلة أمس عند العطفة والتي قتل عندها أحد الجند الذي كان بصحبة أحد رجال زرياب حيث كان مخمور الرأس.

ولكن الشيخ أحمد لم يكن في الصورة حتى لا يفضح امره فكان بمثابة القائد والأب الروحي والملهم لحماس الفدائيين من الشباب وغيرهم من أبناء الوطن المخلصين الذين ذاقوا مرارة الهجر والسجن والاعتقال ومصادرة الأموال على أيد الجيش البريطاني بل أغلقت الكثير من مصادر العيش لهم بعدما انكشف أمرهم من قبل السلطات الانجليزية عبر بعض خونة زرياب والذي كان قد قام بدوره سابق بزرعهم في قلب العي وتنوعت شخصياتهم فكان احدهم يعمل صيادا والأخر بائعا للأسماك والأخر شحاذ يستعطف المارة واهل العي.

الا أن الشيخ أحمد كان قوي الشخصية حاد النظر قوي البصيرة وقد تنبه إلى ذلك مبكرا بعد أن سقط في سجون الاحتلال من قبل أحد أصدقائه والذي لم يستطع أن يحتمل العذاب وفارق دنيا الحياة بعد أيام من اعتقاله عندها أعلن الشيخ أحمد الجهاد ضد الاحتلال ومن عاونه وكان بالطبع زرياب هو اول الخائنين للعي وأهله.

تبدأ الحرية حيث ينتهي الجهل

فيكتور هوجو

وفي العاشرة ولم يزل الشيخ أحمد في منزله حتى أطمئن لخلود زوجته إلى النوم وبداء يخرج من غرفته وفي هواده يخرج من غرفته إلى طرقة في اخر المنزل ثم توجه نحو الحائط الخلفي للمنزل وطرق عليه ثلاثا فكشف الحائط عن باب سري تم غلقه فور دخول الشيخ احمد..

ثم هبط عبر فتحة سرداب ارضي كانت نهايته إلى غرفة ارضيه يتجمع بها خمسة من الرجال..

السلام عليكم..

وعليكم السلام ورحمة الله..

لقد تأخرت لبضع الوقت المعذرة.

كان لدي ضيف وكان يجب أن انتظر حتى يخلد إلى نومه حتى أستطيع التوجه إلى هنا.

ولكن يا شيخ أحمد هذا الضيف يمثل خطرا حقيقيا عليك وعلينا.

أن أحس بشيء وما نفعله سينتهي الامر في الحال

وربما كان جاسوسا لزياب او الانجليز..

لا تقلق يا ولدي أن كل شيء على ما يرام ولقد تأكدت بالفعل من هويته انه لا يشبهنا ويتحدث اللغة الإنجليزية بالاضافة إلى لغة اهل الحي فاطمأنوا فهو قد يمثل عنصرا غير مباشرا في خطة الليلة فاطمأنوا.

تحرك سلطان ممسكا ببعض الأوراق في يديه قائلا: ربما كان جاسوسا للكونت يا شيخ أحمد فأعينهم عليك منذ فترة وربما أرسلوا به اليك حتى يخدعوك وينكشف امرنا..

يا اخواني اطمأنوا فأنا لست مهورا كي أدخل منزلي أحد من الغرباء بدون معرفة حقيقة امره تأكد يا حج "سلطان" أني قد أخذت جميع التدابير اللازمة تأكدوا جميعا أني لن اغامر بكم ولا بجماعتنا وقضيتنا ابادا.

أخبرني يا "رسلان" هل الأختام والسيارات جاهزة؟

نعم كل شيء يسير على ما يرام فقط ينتظرون إشارة التحرك..

سوف يتم كل شيء الليلة لدي معلومات مؤكده أن الكونت سيذهب إلى وكر زرياب وتلك فرصة مميزة حتى نستطيع أن ننقض على مخزن الذخيرة والسلاح.

ان إخواننا في البلاد المجاورة يحتاجون إلى التمويل من السلاح والذخيرة وهناك نقص شديد في التمويل نظير للملاحظات المستمرة ما يقارب الشهر وهم في ظماء شديد.

وسوف يكون هناك من يقوم بعملية التمويه على الكونت ورجاله ولن يخرج من ملهي زرياب حتى الفجر عندها سوف نكون قد انتهينا من كل شيء ولكن اريد أن اخبركم بشيء هام يجب أن نكون في اشد الحرص كمية السلاح المطلوبة كبيرة وسوف تتطلب وقت يقارب الساعتين لتحميل السيارات بها.

لدي الاختام الانجليزية الخاصة بالكونت وتوقيعه على أوراق امر الخروج

اريد منكم أن تنجزوا الامر في سرعه.

أخبروني اين يتجمع رجالنا الان..

انهم في الميناء ينتظرون الدورية ومن ثم ينقضوا عليها ويتقابل "اسماعيل" ورجاله بهم عند مفترق طريق الساحل..

يا إسماعيل اريدك انت وسلطان فقط بعد أن تخرجوا من الكامب أن تسيروا بالسيارة نحو جزيرة اللؤلؤة وعندها تجدوا جندي انجليزي وكأنه ينتظر دورية ممسكا بقطعة من القماش الأخضر في يده اليمني توقف قبل الجزيرة يا إسماعيل وقم بإضاءة انوار السيارة ثلاثا وسيكمل معكم الطريق نحو البوابة الشرقية للحي حتى لا يعترضكم التفتيش وقوات الاحتلال.

كل منكم قد علم الدور المنوط به والان ضعوا ايديكم هنا وجددوا العهد على الالتزام بمبادئ الجماعة والانتصار للوطن..

الله الوطن الحرية.

انتشر رجال زرياب في كل شبر حول الملهى كما أخبرهم زرياب بعد دخول الكونت الإنجليزي بصحبة ضابطان من الحرس الخاص به وسيجاره الذي لا يفارقه.

وعلى الفور ذهب إليه زرياب مرحبا بعدما اخبره ارشد بقدوم الكونت..

سيدي الكونت ملهي زرياب يرحب بك كل من هنا في خدمتك مر أكثر من شهر ونحن في انتظارك ها هو المحال يكتظ الليلة بالزئائن.

سيدي الكونت..

يا أرشد كل شيء يطلبه الكونت الليلة على حسابي الخاص نحن جميعا في خدمته هو ورجاله..

احسنت يا زرياب..

كانت الطاولة تكاد تمتلئ بأطيب الفاكهة وأفضل المشروبات وهذا ما امر به زرياب النادل كل ما يطلبه الكونت في الحال يكون في خدمته..

وبعد مرور الساعة دخل إلى الملهى كل من "قاسم ومارك" وبعد حديث قصير مع ضابط كان موجود بالخارج سمح لهما بعد ذلك بالدخول..

وبعد دخولهما بصحبة النادل أجلسهما على طاولة كانت خلف طاولة الكونت الإنجليزي بناء على طلب قاسم حيث أخبر أرشد حينما أبدي رفضه في بادئ الامر بأن صديقه مرهق قليل ويريد أن يتناول بعض المشروبات بعيدا عن ازعاج أحد.

وعلى الفور امر أرشد النادل بأن يكون في خدمة الجندي "روبن" ويقدم له كل ما يريد من بنات ومشروبات..

قام قاسم وهمس في اذني أرشد بحديث لم يسمع نظرا للضخبة الذي كان يعم المكان ثم قدم إليه بعض النقود الذهبية فقدم له أرشد انحناء له ولصديقه بناء على تعليمات زرياب.

"الجميع في خدمة الانجليز" حتى أصبح شعار في كل مكان في ارجاء العي الأخضر.

كان "أرشد" بمثابة الأيد التي يبطش بها زرياب وهو الرجل الأول له يرسله في مهامه الخاصة فقد كان يمثل الصندوق الأسود لزرياب ويعلم عنه كل كبيرة وصغيرة.

صديقه منذ الصغر كانت بداية التعارف بينهم في سن الخامسة عشر..

في ليلة شتاء والسماء تغدق بأمطار غزيرة.

وعلى رصيف الميناء حيث يتجمع ما يقارب الثمانية من شباب العي في انتظار إحدى السفن القادمة من دولة اوربية كانت تحمل الملابس والأدوية إلى احدى البلاد الفقيرة كمساعدات وهذا كان يتم بشكل شبه شهري..

وكان قبطان الباخرة يعرض بعض الملابس للبيع بالاضافة إلى الادوية المخدرة التي يتحصل عليها خفية دون علم أحد..

وفور رسوا السفينة على ميناء المدينة وبعد نصف ساعة هبط قائدها ومعه بعضا من رجاله وصافح الشباب وفي هذه الليلة برزت شخصية زرياب المتسلط والذي لا يقبل بأن يأخذ حقه أحد وعندما سأله قبطان السفينة كم تريدون من ادوية وملابس

فتحدث أحدهم فأشار إليه زرياب بأن يصمت

قائلا نريد كل ما على ظهر السفينة من ملابس وادوية..

فضحك قبطان الباخرة..

اظنك ابله يا بغل هذه السفينة متجهة إلى دولة فقيرة تحت حماية قوات الحلفاء أغبي انت.

فقط خذ ما يكفيك والشباب..

استشاط زرياب غضبا مما سمع فأنقض على قبطان السفينة فقتله فارداه قتيلا في الحال فهم مساعداو القبطان أن يخلصوه من ايدي زرياب فامسك أرشد بقطعة من الحديد وابرحهما ضربا وفر مع زرياب إلى داخل العي الأخضر.

وفي خلال يومين كانت سفينة عسكرية تحاصر المدينة والعي الأخضر برتمته.

وأغلقت جميع المحال وصادرت قوات الانجليز الكثير من الاموال.

وتم القبض على كثير من الشباب وقتل ما يقارب المائة منهم في معتقلات الانجليز في شهر واحد بعد ما تعرضوا لأشد أنواع التعذيب البدني والنفسي..

ومن هذه الليلة وأصبح الانجليز يقيمون بشكل شبه دائم في الحي وبات لديهم معسكر على أطراف المدينة..

لقد تعرضنا يا "مارك" لعديد من العذاب والمعاناة منذ أن احتلوا المدينة.

اخذ مارك يحدث نفسه قائلاً أن الظلم في كل مكان ثم صاح فجاءة!!

يجب أن يقف لهم كل اهل الحي الأخضر والمدن المجاورة..

أشار إليه قاسم بأن يخفض من صوته ولحسن الحظ أن أصوات الموسيقى كانت مرتفعة فلم يسمعه أحد من الحاضرين.

حسنًا.. ولكن أخبرني كيف يتعامل الانجليز على حد قولكم مع زرياب بعد كل ما حدث وقد تسبب في مقتل قبطان الباخرة ومساعديه..

بعد هذه الليلة الغبرة لم يشرق علينا صباحًا إلا وأحدا من أبناء الحي مقتولا على أيديهم في ظل رفضنا التام للاحتلال ووجودهم بيننا.

في هذه الأثناء وبعد أن اختفي "زرياب وأرشد"

وقد ظلّا رحالة بين الحي والمدن المجاورة ما يقارب السبعة أشهر عادا بعد أن أصبحا لصوصا يحتالوا على المارة وذاع صيتهم هناك وكان لا بد

للانجليز من أحد يحيي رجالهم وجنودهم خاصة بعدما استقروا في الحي فلم يكن امامهم سوي زرياب..

صعد زرياب على خشبة المسرح مرحبا بالكونت ورجاله ثم قدم صاحبة الأداء الراقى صاحبة الصوت الأصيل "جميله".

صفق كل الحاضرون اعجاب واشادة بها ومن لا يعرفها وقد سمع عنها القاصي والداني.
وضع قاسم يديه على فمه قائلا: سوف تسمع اذناك الآن اجمل الكلمات من "جميلة".
هي من تحيي ليالي الملهى بغنائها وصوتها المميز..

بدأت فرقة الموسيقى تعزف فانكشف الستار عن الجميلة وكانت المفاجأة..
حين شاهدها مارك حتى أحس بدوار كدوار البحر في رأسه وأخذ يغلق عينيه ويفتحها
ثانيا ثم نظر إليها محدقا طيلة الوصلة الغنائية ظنا منه انها هي وبالفعل كانت تشبهها
بنسبة كبيرة جدا وسوف يفى بالوعد والعهد.

ماذا تقول يا مارك اتحدث نفسك يا رجل انها تشبه فتاة كنت اعرفها في بلادي.
بلادك!!

ما هذا اقسم لك يا قاسم انها تشبهها كثيرا..
تماسك يا رجل حتى لا يشك أحدا في امرنا.

لعلها تشبهها وهذا يحدث كثيرا في كل مكان اتريد أن تتحدث اليها.

نعم.. نعم

إذا اصمت حتى لا ينتبه الكونت او احد رجال زرياب..

اصمت يا رجل وسوف اخبرك بكل شيء اصمت..

استمع لصوتها الراقي واستمتع، ظل مارك طيلة الوصلة الغنائية يعرض على انامله وفي يديه كاس من عصير البرتقال وعلى الطاولة بعض الفاكهة قدمها إليهم زرياب تحية ولكل الحضور.

وبعد انتهاء الوصلة الغنائية توجهت من على المسرح إلى طاولة الكونت بأمر من زرياب بعد رفض في بادئ الأمر فامسك بيديها واجلسها على الطاولة رغم عنها.

لم تعرف قاسم من أول وهله فنزع القبعة من رأسه وأشار بيديه نحو الكونت.

فأخذت تسامره وتتحدث معه كانت أصوات ضحكاتها تسعد الكونت كثيرا واخذت تناوله الكأس تلو الآخر.

كفي يا جميلة لقد شربت ماء البحر كله الليلة.

قال زرياب: عجب لك يا كونت تشرب ماء البحر كله بدون صديقك المخلص.

يا بغل لن يكفيك ماء المحيط بهذه المعدة المنتفخة يا رجل كيف تتحرك هكذا.

ضحك زرياب.. سوف أخبرك يا صديقي أنا لا أؤمن على أموال أحد لذلك اضعها في معدتي.

يا لك من بغل..

استأذنت جميلة بأن تغادر كي تبديل ملابسها استعداد للوصلة الغنائية القادمة..

أخبر قاسم مارك بألا يترك الطاولة حتى يخبر جميلة.

ابدى مارك الموافقة على الفور..

واختبأ قاسم في غرفة جميلة بعدما استطاع أن يتسلل من رجال زرياب.

وبعد دخولها الغرفة خرج من خلف الستار واغلق الباب فهمت جميلة تنوح بصوت مرتفع فوضع يده على فمها وأعلن عن شخصيته لا تنزعجي فقد جئت الليلة لأمرين في منتهي الأهمية.

اسمعيني جيدا يا جميلة يجب أن لا يغادر الكونت الملهى حتى قبيل الفجر فاعتني به جيدا ولا تتركه بمفرده طيلة الليلة.

ولكن من الذي كان يجلس بجوارك يا قاسم؟

انه صديق لي وكما اخبرتك بأنه يهوي الرسم.

أين الأدوات؟

ها هي يا قاسم وقد قدمها لي أحد الضباط الانجليز هدية اليوم.

وما أمر صاحبك هذا يا قاسم فقد كانت نظرات عينيه تلاحقني الليلة!!

لقد أخبرني بأنه قد التقى بك من قبل.

ابتسمت جميلة قائلة:

يعرفني!! لا لا أنا لم التقى به قبل الليلة ربما تناوله للخمر افقده الوعي.

إذا اتفقنا ويجب أن لا يخرج الكونت قبل الرابعة فجرا وسوف اغادر أنا وصديقي بعد تصعدي إلى المسرح بدقائق.

وإذا حدث وخرج الكونت من الملهى قبل الموعد سوف تجدي عند الباب الخلفي شحاذ يجلس في ثوب مرقعه اعطه هذه العملة الورقية.

يا قاسم اخشي عليك وعلى اخوانك إن الانجليز لا يعرفون الرحمة وزرياب إذا علم شيء سيقتلني في الحال.

لا تقلقي ربما ينتهي كل شيء قريبا والحرب على مشارف النهاية فيجب أن نستثمر كل الوقت من أجل قضية الوطن والخلاص من احتلال عكر صفو أيامنا.

اولم تشتاق إلى أبيك يا جميلة؟

اني أملك أبناء شبه مؤكده أنه في سجون تلك الدولة اللعينة.

أخبرني يا قاسم أين هو؟

ليس لدي الكثير من الوقت سوف أخبرك لاحقا.

خرجت جميلة تؤمن طريق قاسم نظرت يمينا ويسارا وأغلقت باب الغرفة المجاورة والتي كان بها بعض الفتيات وبعد خروج قاسم متجها إلى دورة المياه منها إلى الصالة.

أشعلت جميلة المسرح من جديد بغنائها المميز

كان زرياب يتجول بين طاولة الكونت وغيرها يأمر النادل بأن يكون يقظ ولا يغضب أحدا من رجال الكونت هذه الليلة.

جلس قاسم بجوار مارك حاملا على ظهره حقيبة سوداء اللون قدمها إلى مارك قائلا:

ها هي يا صديقي أدوات الرسم كما وعدتك في الصباح.

شكرا لك يا قاسم.

بل يجب أن توجه الشكر لها هي الوحيدة القادرة على فعل أي شيء هنا..

فأشارت جميلة بيديها نحوهما..

ظن الكونت انها تشير إليه فاراد أن يقف فلم يستطع بعدما أن اختمر عقله بما شرب في تلك الليلة..

همس قاسم في أذني مارك قائلا: هيا بنا يجب أن نتحرك الآن..

وجميلة!!

سوف نأتي في ليلة أخرى لقد دقت الساعة الآن "الثانية عشره" يجب أن تعود إلى المنزل.

وفي منتصف الطريق أثناء عودتهم صعد مارك على الرصيف المرتفع الذي يفصل بين البحر والطريق ورفع يديه نحو السماء :

لم يكن لدي اختيار في حياتي حتى اسمي لم أكن صاحب الاختيار فيه فقط جئت إلى دنيا الحياة فوجدته في انتظاري، حتى فراق ابي وامي لم يكن باختياري ،لقد عانيت من السخرية طيلة سنوات الدراسة من جانب زملائي ولم اجد أحدا يصابحتي، وها هي ديانا حبيبي وروح فؤادي لطالما تعلق القلب بها وعشقتها منذ الصغر وغابت عني لسنوات وسنوات ويوم ما إن التقينا من جديد وابتسم لي ربيع الحياة حتي أعدوا لي نعشا يسير فوق الماء رسالة ، إن الموت ليس لنا اختيار فيه فهو اللص الذي يسرق أعمارنا دون إرادة منا وفي أي وقت وزمان شاء، فقط هرب من موت إلى موت.

"ستبقي الحياة مصدرا للتعاسة ولن تولد السعادة أبدا مادام رحم الحياة مغلق بصخرة يتحطم عندها كل أمل جديد".

اسمعي جيدا يا مارك هناك أمور تحدث دون ارادتنا دون قصد منا ولكن هناك واذع داخلي يحركنا دون تحكم فيه، فحب الوطن اسعي واجل شيء في الحياة نفيديه بأرواحنا واموالنا وأنفسنا فلا تحزن.

قاسم أنا لا افهم شيء ربما لأنني لا أستطيع تحدث العربية بطلاقة.

لا عليك يا مارك ولكن أسمعني جيدا سوف اغادر إلى مدينة مجاورة لمدة ثلاثة أيام، فهناك بعض الأغراض في حاجة إليها بالإضافة إلى إني ارغب في شراء كتب ومجلات.

ولما لا تغادر في الصباح؟

هناك بعض الأصدقاء ينتظرون حتى نسير سويا والشيخ أحمد يعلم ذلك اطمئن..

ولكن يجب أن تنزع ثيابك فلقد اشتريت لك ملابس جديدة ستبدلها عند أحد الأصدقاء في طريق رجوعنا أسرع الخطي هيا يا رجل..

وفي الشارع الخلفي للعطفة توقفا ثم نظر قاسم خلفه حتى أطمئن من خلوه من المارة وجنود الانجليز ثم دخل إلى احدى المنازل المهجورة..

كان الهواء شديدا حتى أن باب المنزل اغلقه الهواء سريعا..

كان في الانتظار "حمزة" وهو فتى مازال في العاشرة من عمره وهو نجل "إسماعيل" وكان يعتمد عليه الشيخ أحمد في عملية التمويه.

أنا لا افهم شيء..

ماذا يحدث هنا ولما الاصرار أن أبدل ملابسي والتي لا افهم أيضا لما ارتديت إياها من قبل.

قلت لك اننا حتى نستطيع الدخول إلى ملهي زرياب كان يجب أن نتخفى لأنه غير مسموح بدخول غير رواده فقط..

وسوف تنزعها الآن حتى لا يعلم ابي بأمر خروجنا وعندها تحدث الطامة الكبرى وفي غضب أبي العذاب الأليم.

وها انت الآن معك أدوات الرسم انطلق إلى المنزل وكما قلت لك سوف أغيب عن الحي لمدة ثلاثة أيام كي احضر بعض الكتب لمكتبتي.

مرحبا "يوسف".

"كيف حالك؟" لعلك بخير يا عزيزي؟

انه لا ينطق أو كما يقولون أصم..

أشار إليه مارك فرحب به يوسف مبتسما..

في تمام الواحدة بعد منتصف الليل كانت الدورية الإنجليزية تطوف الميناء والتي سبق وصادفت مرور مارك بالأمس خارج الميناء.

احتمال الفدائيون عليهم بحيلة كي يستطيعوا أن ينقضوا على السيارة ومن فيها وبالفعل سار كل شيء كما خطط له "رسلان" توقف قائد السيارة لوجود عطل في الاطار الخلفي للسيارة كان قائدها مازال في الداخل ممسكا بجهاز لاسلكي لاستقبال وتلقي الإشارات العسكرية إضافة لبعض التجهيزات التي كانت تميز سيارة دورية الميناء عن غيرها.

بينما كان ثلاثة من الجند مشغولون بإصلاح السيارة حتى انقض عليهم من الخلف إسماعيل ورجاله وبعد صراع اشتد بنزول الضابط من السيارة واشتباكه بالأيدي مع إسماعيل واستمر ذلك لمدة جاوزت الخمس دقائق..

وفور سقوط الضابط على ارض الميناء إثر الشجار الدائر بينه وبين إسماعيل وضع يده على سلاحه فلم يكن امام إسماعيل إلا أن يطلق نيران سلاحه على الضابط وبالفعل حدث فارداه قتيلا في الحال.

ثم حملوا جثث الضابط والجند الثلاثة على ظهر السيارة وقاموا بألقائهم في مياه البحر بعد قاموا بتقييدهم بسلاسل حديديه حتى لا تطفوا أجسادهم فوق سطح المياه.

وتم التقابل بين مجموعة إسماعيل وسيارة أخرى كانت تنتظر بين المنازل المهجورة والمدمرة على المقربة من الكامب الإنجليزي..

قام إسماعيل بإشعال أنوار السيارة ثلاثا حسب ما تم الاتفاق عليه فردها قائد السيارة الأخرى أربعا، ثم انطلقت السيارتان نحو المعسكر.

كان إسماعيل يتحدث الإنجليزية جيدا اضافة إلى دراسته لموقع الكامب بعدما تخفي عدة مرات في زي صياد لأسماك التونة والتي كان يعيشها قائد الكامب وينتظر ذلك الصياد صاحب الملابس المرقعة كي يأتي إليه الثلاثاء من كل أسبوع وفي الموعد كان إسماعيل يحمل معطفا ملئ بأسمك التونة والكابوريا وغيرها.

يتجول بين مكتب القائد والضباط وربما يمارس هوايته المفضلة مع الجند عبر قراءة الكف لهم فكانوا يتجمعون حوله في كل غرفة يدخل اليها.

الامر الذي سهل عليه كثيرا الدخول إلى المعسكر في تلك الليلة، ومن ثم التوجه نحو مخزن السلاح..

توقفت سيارة القائد واصطف الجند بجوار السيارة في انتظار تعليمات القائد الذي هبط ممسكا بجهازه اللاسلكي ثم مر بهم ذهابا إيابا وأمرهم بالدخول على الفور للمخزن وتحميل السيارات بالأسلحة المدونة ادناه في تلك الأوراق.

فتقدم إليه حارسا مخزن الذخيرة وأشاروا إليه بالتحية العسكرية فردها عليهم.

واخرج أوراق صفرا اللون بها اختام وامضاء قائد الكامب بنفسه واحد مساعديه.

وبعد انصرفاهم كان إسماعيل يتجول بجوار السيارات أثناء تحميلها وهو يتمتم بين جنبات نفسه ويدعوا ربه أن يسير كل شيء على ما يرام واثناء حمل الجند لصندوق يحمل بعض الذخيرة سقط منهما على الأرض فتوجه إليهم ونهرهما بشده وامرهم بسرعة انجاز الامر..

حتى أن حارسا المخزن ارتبكا أيضا كان ذلك اتفاق بين إسماعيل ورجاله حتى لا يشعر الحرس بأي شيء غير متوقع.

كان حارسا المخزن أحدهم يجلس على كرسيه يدون كل صندوق يخرج من الكامب بينما الآخر يساعد الجند في تحميل السيارات بالصناديق..

الرياح كانت شديدة في هذه الليلة والعاصفة الترابية قد بدأت في الانتشار بالفعل وبعد مرور ساعة من العمل المتواصل، تقدم حارس المخزن يحمل دفترا يدون به ما يخرج من ذخيره واسلحه.

سيدي الضابط جميع ما في الاورق تم تحميله بالفعل على السيارات هل من أوامر اخري.

تحياتي أمها الجندي العظيم أن دولة بريطانيا توجه لك ولأمثالك كل التحية على تفانيك في انجاز عملك.

العفو سيدي الضابط.

تقدم الضابط إلى سيارته كي يتحرك فاستوقفه الحارس..

سيدي يجب أن تقوم بإمضاء استلام الذخيرة سيادة الضابط.

حسنا.. حسنا

امر إسماعيل السائق بأن يتحرك على الفور وفي طريقهم نحو أبواب المعسكر استوقفهم جنديا اخر سيدي الضابط لقد لاحظت عدم وجود اللوحات التي تحمل ارقام السيارة من الخلف أثناء دخولها.

ربما تكون سقطت أيها الجندي العظيم شكرا لك.

ما كاد إسماعيل ينطلق بسيارته حتى فوجئ بسيارة الكونت في الطريق للكامب.

فأشار إليه الكونت بأن يتوقف بعدما تحدث مع مساعديه.

فأسرع إسماعيل بالسيارة بعدما أبدل مقعده مع السائق ومن خلفهم سيارة الكونت تلاحقهم، ثم أطلق مساعده الكونت النيران صوب سيارة إسماعيل في هذه الأثناء كانت السيارة المحملة بالذخيرة قد اخذت طريقا آخر وخلفها سيارة تطاردها تتبع الانجليز..

ظلت تلاحقها وطلقات النيران لم تتوقف لمدة النصف ساعة.

حتى ضلت سيارة الانجليز الطريق بعدما تم قطع الطريق عليهم بأشجار تساقطت الواحدة تلو الأخرى بعد مرور سيارة الذخيرة.

وكان الكونت ومساعدوه قد نفذت طلقات أسلحتهم واضناهم السير خلف سيارة إسماعيل بل كان للقدر لعبة أخرى فاستطاعت العاصفة الترابية أن تحول بين الكونت واسماعيل كل ما حدث جعل الكونت يستفيق من سكره وهبط من سيارته والقى بسيجاره ارضا بعد أن رطم السيارة بقدمه اليميني واضعا يده على راسه.

ثم تحدث قائلاً:

هؤلاء الأوغاد يجب أن تأتوني بهم في أسرع وقت والا سوف أقتلكم جميعاً..

ثم قام بطرق أبواب السيارة بيديه ثم نظر على مرمي بصره فشاهد من بين ذرات تراب العاصفة انوار الحي الخافتة.

فأشار بالبنان قائلاً:

"اللعنة على هذه الحي".

وبعد مشادة بينه وبينهم استطاعوا أن يستميلوا الكونت بأن يصعد إلى السيارة فالعاصفة شديدة حتى لا يتعرضوا لأذى جراء انتشارها..

يجب أن اعرف كيف دخلوا إلى المعسكر واي شيء سرقوا هؤلاء اللصوص..

ثم أمسك بجهازه اللاسلكي فلم يستطع أن يتحدث مع سيارة الإشارة او برج المراقبة الساحلي.

اللعنة.. اللعنة عليكم جميعاً..

في تلك الأثناء كانت سيارة إسماعيل قد وصلت بالفعل في الموعد المحدد عند الشاطئ المهجور ونزل منها رجاله خفية متسللين حتى لا يراهم أحد ولكن كان الغبار قد انتشر بالفعل وجميع قاطني الحي في منازلهم فاستطاعوا أن يتسللوا إلى المكان المحدد لهم.

اما إسماعيل فقد تابع السير إلى جزيرة اللؤلؤة

حسب الاتفاق منتظرا في سيارته حتى قدوم سيارة الذخيرة، وبعد تلاشي الغبار خرج من داخل غرفة مراقبة علي الشاطئ ضابط انجليزي ممسكا بيديه قطعة من القماش الاحمر

فاعتدل إسماعيل على كرسي القيادة ونظر من خلال النافذة فلم يستطع تحديد شيء، وهم أن يهبط من السيارة جال في مخيلته حديث الشيخ "أحمد".

وبالفعل بعد اضاءة انارة السيارة تحرك نحوه الضابط وهو ينظر حوله و ما إن وصل إلى مقدمة السيارة طرقها ثلاثا ثم قال له كلمة السر المعهودة والتي تلاقها إسماعيل بالسعادة.

واستقل الضابط السيارة بجوار إسماعيل وبعد دقائق من الانتظار في صمت كل منهما يحدث نفسه عن مصير سيارة الذخيرة وما حدث لها.

هم إسماعيل أن يهبط من السيارة فتحدث إليه الضابط يجب أن تجلس في مكانك نحن دورية انجليزيه ولا يجب أن يهبط السائق من السيارة بدون القائد تمهل حتى لا ينكشف الامر وانتظر.

جلس يعرض على انامله ينظر في المرآة التي تكشف الطريق من الخلف والدقائق تمر عليه كالساعات وكل لحظة انتظار تمثل خطرا حقيقيا عليهما.

صاح إسماعيل فجاءة لقد جاء سلطان بالفعل انه في الخلف عند انحناء الطريق الموازي هيا بنا.

وبالفعل استطاع سلطان أن يراوغ السيارة التي كانت تلاحقه في الجبال و ما إن تلاشي الغبار حتى أخذ الطريق والتقي با سماعيل عند مفترق طريق الساحل الشرقي بعد تأخير دام لساعه كاملة.

تحركت السيارتان معا نحو البوابة الشمالية للحي الأخضر.

وضع إسماعيل يده على جبهته وأشار بيده نحو السماء قائلاً:

يجب أن نخرج من البوابة قبل السادسة والنصف والا انكشف الامر وضاع كل شيء.

تمهل يا إسماعيل سيكون كل شيء على ما يرام.

كيف اهداء فالشمس قد قاربت أن تشرق سينكشف الامر لا محالة.

اهداء يا إسماعيل بعد قليل سيكون علينا أن تجاوز نقطة التفتيش الأولى فهي بمثابة المفتاح للخروج من البوابة.

توقفت السيارة بعد دقائق امام اول نقطة تفتيش واخرج إسماعيل الأوراق الخاصة بسيارته والسيارة الأخرى التي تحمل الذخيرة.

كان إسماعيل يضع يده على قلبه عندما لاحظ تجول ضابط الحراسة حول سيارته.

وبالفعل حدث ما توقعه إسماعيل عندما تجول الضابط خلف سيارته.

سيدي القائد أن اللوحة الخلفية غير موجودة؟!

نعم بالفعل اعلم ذلك فقد سقطت خلال السير في الطريق فهذا السائق سوف ينال العقاب الشديد فهو من تسبب في سقوطها.

تحرك ضابط التفتيش وأشار إلى الجندي قائلاً:

أيها الجندي أزل هذا الحاجز..

تنفس إسماعيل الصعداء بعد أن تجاوز الحاجز الأمني إلى أن توقفت السيارة عند الحاجز الثاني والأخير لتفتيش السيارات بواسطة كلاب للحراسة.

تحدث إسماعيل إلى ضابط التفتيش بعد أن أشار إليه بأن السيارة الخلفية تحمل أسلحة للسفينة الحربية القابعة على مرفأ الجنوب وان هذه الكلاب لن تكف عن النباح. واستطاع أن يقنع الضابط بحديثه خاصة وانه يحمل رتبة عسكرية اعلي درجة منه.

في هذه الليلة الغبراء كان جميع قاطني الحي نيام إلا أحدهم ظل في غرفته منتبها خلف النافذة

لم استطع الشيخ أحمد أن ينام هذه الليلة وظل يدعو ربه بأن يسير كل شيء وفق الخطة التي تم تحديدها.

ويحدث نفسه ويتجول واضعا يديه في تشابك خلف ظهره.

سوف يضيع كل شيء إذا انكشف الامر يجب أن يخرجوا الآن من البوابة لا لابد وأنهم قد خرجوا بالفعل.. اللهم لطفك.

اللهم لطفك..

وفي غرفة قاسم يجلس مارك وهو اسعد انسان على الأرض بعد "ونستون تشرشيل" في هذه الليلة.

فقد استطاع ذلك الداهية العسكري بالفعل أن يخدع الالمان وقد وصلت رسالة التمويه التي أرسلها إلى الالمان عبر الجثة التي لم يعلم أحد بحقيقة صاحبها غير قائد الباخرة الحربية والضابط القائد "جون تيري" والذي كان هو الاخر سعيدا بما حدث فقد استطاع بمكره ودهائه أن يتخلص من "مارك" نهائيا والى الابد.

جلس طيلة الساعات المتبقية من هذه الليلة بصحبة أدوات الرسم وهو يتذكر أيام طفولته وما تلاها حتى توقف عند لحظة الرحيل.

ثم اخرج الساعة الملكية الخاصة بالأميرة من جعبته ونظر في المرأة فأراها كما تركها اخر مرة في منزل جده.

كيف حالك يا "مارك"؟

لست بخير يا "ديانا".. لست بخير.

انظري ماذا حدث لي لقد أصبحت شريدا في بلاد لا أعرفها وفي عالم مجهول.

أي قدر اتي بحبيبك إلى هنا.

لقد استطاعوا أن يبعدوني حتى لا نلتقي والقوا فتيل القنابل بيبي وبين جدي..

لقد اصبح بيبي وبينك بحار أمواجها ملطخة بدماء الأبرياء!

ولكن روحك ما زالت وستبقي في جسدي يا ديانا.

ها هي أدوات الرسم الخاصة بي لن اتوقف عن رسم صورتك في كل جدار هنا.

يجب أن يعلم العالم ان الحب هو رمز الحياة وسوف يتحقق ذلك

"حين يسود العدل العالم، وفي زمان ما ستتوقف عقارب الساعة وعندها يخلق نسر

الحق في سماء البسيطة"

سوف اعود..

ظل ينظر في المرأة وانتابته قشعريرة وهز رأسه وكأنها كانت تتحدث اليه.

ثم أمسك الفرشاة وأدواته وخرج من باب غرفته في هوادة نحو الباب وقام بغلقه في هدوء

حتى لا يحدث صوت كالعادة ويعلم الشيخ أحمد بخروجه.

يجب أن اخرج قبل أن تشرق شمس النهار على الحي.

توجه "مارك" نحو الميناء ممسكا بفرشاته والوانه سعيدا وكأنه طفل صغير حقق امنيته بعد طول انتظار فقد كانت ادواته تشبه اشتياق الطفل لأمه واحتياج النبات للماء والهواء.

خرج يترجل على قدمية حتى صادفه جدار لمنزل مهجور بالقرب من الميناء فأزال ما عليه من اترية وجلس بصحبة ادواته و ما إن وضع الفرشاة على الجدار حتى شرد بخياله ويقبض بيديه علي الساعة الملكية تميمة الحظ بالنسبة إليه.

اين انت الآن يا جدي؟

بدأ مارك يرسم كعاداته ولكن الغريب في الامر أن الجدار بأكمله كان يحمل صورة ديانا ولم تكن صورة صغيرة كما تعود من قبل .

ربما قد تخلص من الخوف الذي سيطر عليه ولازمه طيلة السنوات التي مضت منذ ولادته.

ولم يكتفي بهذه اللوحة فقط بل راح يغدوا كل يوم ويطوف الحي بأسره واهل المدينة في سبات نومهم.

وقام بإمضاء دافنشي أسفل اللوحة مثلما كان يفعل سابقا، واستغرق الامر قرابة الساعة حتى اشرفت الشمس على الحي الأخضر وبدأت سيارات الانجليز تطوف بالحي والدوريات العسكرية تسير بالقرب من الميناء فسمع مارك صوت السيارات تقترب فهم يلتم لم اغراضه يخفيها في ملابس الصيد حتى لا يعلم بأمره أحد وانصرف مبتعدا عن الميناء.

في الساعات الماضية كان "الكونت" قائد الكامب قد وصل بالفعل إلى المعسكر وأعلن حالة الاستعداد القصوى داخل المعسكر ثم امر بإحضار حارسا المخزن فور علمه بأن السيارتان احدهما كانت تحمل ذخيرة.

سيدي القائد: لقد كان لديه أوراق معتمدة بالختم البريطاني وامضاء سيادتكم ومساعدك.

كان الكونت غاضبا ويلوح بعضا بيده حتى انه قام بكسر زجاج نافذة مكتبه.

اريد أن اعرف كيف دخلوا إلى المعسكر وكيف استقلوا سيارة الدورية والتي تحمل أحدث الأجهزة التي نستخدمها في الإشارات اللاسلكية.

اريد تحقيقا فوريا في الامر.

وأخبروني عن مصير الضابط "ويليم هولمز" المسؤول عن الدورية أين هو وباقي الجند.

ان امر ما يحدث لقد اترقوا كل الحواجز الممكنة وحطموا جميع الاسلاك الشائكة.

دولة بريطانيا العظمي لن تقف امام هؤلاء الأوغاد مكتوفة الايدي.

ظل يطلق حديثه ويتمتم أحيانا بين جنبات نفسه وهو يعلم أن هذا الامر لن يمر هكذا دون محاسبة من دولة بريطانيا وقائده الاعلى جون ماكين.

أطلقوا الدوريات في كل مكان أعلنوا الاحكام العرفية في هذا الحي اللعين والاحياء المجاورة ولا يخرج أحد من منزله هذا اليوم حتى نستطيع أن نحدد الجناة.

اقبضوا على كل مشتبه به سواء اكان كبير ام صغير شيخ ام امرأة فلن نقف امام هؤلاء الحمقى مكتوفي الايدي، ويجب أن يعلموا من هي الدولة العظمي نحن لسنا ضعفاء حتى يقوموا بهذه الأفعال الصببانية ويخترقوا معسكرنا.

هيا اريد فعلا على الأرض والا أطلقت عليكم الرصاص بلا رحمة ولا شفقة أنا لن أكون كبش فداء.

كان الجنود في ارض المعسكر على أهبة الاستعداد من اجل التحرك بالدوريات العسكرية في كل مكان وحدث أحدهم الآخر قائلاً:

انه مازال يتحدث بغرور كعادته.

اصمت فقد استشاط غضبه حتى لا ينصت لحديثك ويقتلك.

تلك الكلمات كان يتمم أحد الجند في ساحة الكامب إلى صديقه بها.

وبالفعل تحركت السيارات خارج الكامب تطوف في كل مكان تبحث عن اللصوص وعن السيارة التي سرقوها.

واخري تبحث في الميناء عن الضابط قائد سيارة الإشارات اللاسلكية ورجاله.

ومع شروق الشمس بدأ اهل الحي يخرجون إلى عملهم فسمعوا طلقات الرصاص تنهال في كل مكان.

نظر الشيخ أحمد من خلف شرفة المنزل فشاهد السيارات تسير بكثرة ودوريات مترجلة في كل مكان من حين لآخر.

فأسند ظهره إلي أريكة مرة أخرى ممسكا بمسبحته وهو يدعو ربه بأن يعود قاسم وإسماعيل وسلطان وان لا يمسه السوء.

ظل على هذه الحالة إلى ساعة الظهر يدعو ويسجد لربه.

كان قاسم وإسماعيل قد تخلصا من أي عائق يحول بينهم وبين وجهتهم وانطلقا نحو الهدف المحدد سابقا ولكن بعد ليلة مرت كالدهر.

بالفعل يا قاسم انها ليلة عصبية ولكن حمد لله على خروجنا سالمين، علينا أن نسرع الخطي حتى نصل في الموعد المحدد قبل غروب شمس اليوم وعند ملتقى الجبال مع وادي الرمال البيضاء هناك ينتظر إخواننا بسياراتهم لتحميل الأسلحة والذخيرة.

سنصل قبل الموعد يا إسماعيل فكن على يقين بأن الله معنا.

كانت الشمس على أشدها في ذلك اليوم والسيارة تسير في طرق جبلية وعرة بين مدقات جبلية تارة وبالقرب من بحر للرمال تارة أخرى.

لقد نفذ الماء يا إسماعيل وحرارة الشمس على أشدها سنهلك لا محاله.

تثبت يا فتى وكن مثل ابيك الشيخ الشجاع وان داهمنا الموت فنحن في انتظاره ابطال لا غير ذلك.

عليك بالصبر..

ولم يخفف عنهما شدة الحر غير اقتراب الشمس من الغروب وبين هذا وذاك وصلت السياراتان والثلاثة مهكين بعد عناء شديد عند المكان المتفق عليه.

تحدث قاسم بصوت لا يكاد يخرج من فيه وكاد العطش يقتله:

لا يوجد أحدا يا إسماعيل لقد تأخرنا عن موعدنا.

أخذ إسماعيل يترجل يميناً ويساراً ويصعد أعلى التبة مرة أخرى لعله يجد أثر لأقدام أحد فلم يجد فأطمئن قلبه الذي كان يرجف بشدة.

لم يسبقنا إلى هنا حد قبلنا يا قاسم فاطمئن.

فوضع "سلطان" يده على كتفي قاسم:

تمسك بالأمل يا قاسم وان كنت على شفا الموت

فالشدائد تخلق الرجال وتوقظ القلوب ورب ضارة نافعه.

بتلك الكلمات الهيب "سلطان" حماس قاسم والذي كاد يدب الياس في اوصاله شيئاً فشيئاً.

جلس قاسم على احدى الصخور يلتفت كالصقر ..

بينما إسماعيل صعد أعلى السيارة ممسكاً بالنظارة المقعرة يراقب القادم من بعيد.

ومع آخر ضي لشمس يوم عصيب ظهر في الأفق ذلك الأمل المنشود فحمد ربه وهبط من فوق سطح السيارة وسجد لربه شاكراً.

وبعد دقائق توقفت سيارتان إحداهما شاحنة عظيمة والآخرى صغيرة تحمل الماء والطعام.

حمد لله على سلامتك يا إسماعيل.

و ما إن شاهد "قاسم" الماء حتى أسرع يشده إليه شدا..

مهلا يا فتي حتى لا يصيب قلبك شيء من الفتور.

اسرع يا إسماعيل لقد تواترت انباء بأن قوات الاحتلال تبحث عنكم في كل مكان يجب أن نسرع هيا يا رجال.

ولكن كيف سنعود إلى الحي مرة أخرى يا إسماعيل لن نعودا إلى الحي في ظل هذه الظروف يا قاسم ان الانجليز قد انتشروا في كل مكان يفتشون المنازل والطرق لم يرحموا شيئا ولا امرأة إلا وتعرضوا له.

لقد تلقيت أوامر بأن اخفيكم عن الاعين حتى تستقر الأمور ومن ثم نعودا إلى الحي ولكن ليس قبل يفشل الكونت ورجاله في البحث عنكما.

لقد سمعت أن الكونت قد أعلن حظر التجوال ودوي أصوات الرصاص بات يسمع في كل مكان.

ومع اذان فجر اليوم الخامس عشر وقد انقطعت الاخبار بين الشيخ أحمد واعوانه ولم يستطع أن يتصل بأحدهم نظرا للوضع الذي فرضه الانجليز في مكان ويات التحرك بأمر الكونت الإنجليزي وساءت الأحوال المعيشية وعاثوا في الحي فسادا من خراب وغلق لأبواب الرزق وتفتيش دوري للمنازل ولم يسلم من بطشهم شيخ عجوز ولا امرأة.

كانت "جميلة" تطرق باب الشيخ أحمد بعدما استطاعت أن تتسلل خفية من زرياب ورجاله في جنح الليل.

وكان النوم عدو الشيخ طيلة الأيام الماضية و ما إن سمع صوت طرقات الباب حتى فزع نحوه..

فقامت بطرق الباب ثلاثا..

دلف الشيخ أحمد ناحية الباب فاذا بها تدخل إلى المنزل..

تحدثت وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة

يجب أن تسمعي يا شيخ حتى اعود بسرعه قبل أن يستيقظ زرياب ورجاله.

اسمعي جيدا يا شيخ أحمد ولدك قاسم بخير هو ومن معه ولقد وصلا بالفعل إلى المأوي

الخاص بهما، وحين تستقر الأمور يعودوا مرة اخرى..

وسوف اخبرك بكل شيء لاحقا يجب أن اذهب الان.

ظل الشيخ أحمد واقفا لا يحرك قدما ولا ساكنا، ونظر الي الخارج بعد ان رحلت

ثم رفع كفيه إلى السماء شاكر لربه.

وفي خلال هذه الايام كان "مارك" منذ الصباح بعد أن يعود من الميناء يدخل إلى الغرفة

وبين الحين والأخر يتسامر معه الشيخ أحمد ويجلس بجواره وهو ممسك بفرشاته والوانه

كان مارك فور أن يمسك الوانه يغوص في خياله شارد العقل يفكر في جده ومصيره

المجهول.

وتحول الحي الأخضر إلى ثكنات عسكرية أغلقت كافة المحال التجارية والتزم الجميع

منازلهم باستثناء "مارك" والذي اهتدي إلى ضالته فكان يخرج في الصباح الباكر مرتديا زي

الجندي الإنجليزي ويعود قبل شروق الشمس.

وفي ظل اشتداد لظي الحرب تواترت الانباء بالفعل إلى الدولة العظمي بما حدث في الحي

الأخضر.

كان الضابط جون ماكين يجلس في غرفته يستمع إلى حديث تشرشيل والذي كان يذاع عبر المذياع.

سيدي القائد..

تفضل بالدخول أيها الجندي: ديفيد الشجاع.

لقد تواترت انباء وصول قوات الحلفاء إلى جزيرتي قبرص واليونان.

حقا سيدي لقد استطعنا بفضل الخدعة التي تمت بأمر القائد العظيم "تشرشيل" أن ننتصر على هتلر واعوانه.

إذا لنشرب نخب الانتصار العظيم.

رفع الجندي حاجبيه محدقا نحوه: سيدي.. سيدي

لدي امر هام اريد أن اخبركم به.

هل لديك امر اهم من انتصارنا في معركة البحر المتوسط ودخول قوات الحلفاء إلى قبرص واليونان نعم سيدي اخبار ولكن غير سعيدة بالمرّة.

استدار بكرسيه ثم وضع الكاس على المنضدة امامه.

تحدث أيها الضابط..

سيدي إن اللصوص قد سرقوا كميات هائلة من الأسلحة والذخيرة من داخل الكامب..

عن أي كامب تتحدث؟

اهتز الضابط وكأن الكلمات لا تكاد تخرج من فيه خوفا من غضب القائد.

سيدي اقصد الحي الأخضر.

اتريد أن تخبرني بأن اللصوص قد استولوا على مخزن الأسلحة والذخيرة التابع للدولة العظمي في الحي الأخضر.

نعم سيدي.

أي جنون هذا.. كيف حدث ذلك يا رجل.

وأين كان جند الحامية قرابة العشرة الاف من الجند والضباط ويتسلل من بينهم خفية اللصوص ليستولوا على الأسلحة والمؤن العسكرية.

أي جنون هذا..

هذا أمر غير مقبول بالمرّة..

اظن أنك تهذي لتناولك كأس النبيذ الأحمر.

سيدي لدي أنباء شبه مؤكدة بأنهم قد استولوا على سيارة الاشارات الحربية واللاسلكية المدعمة بأحدث أجهزة التحدث مع الدولة العظمي.

بالإضافة إلى ملابس الجند الداخلية ووجبات طعامهم في الغداء والعشاء

هذا حديث هزلي لا يحدث لدولة عظمي كدولتنا وان علم السيد "ونستون" بما حدث فسوف يحكم عليكم جميعا بالإعدام ثم يلقي بأجسادكم في مياه البحر ولتكن وجبة دسمة للأسماك.

اعد لي وسيلة اتصال بالكونت ولتكن في أقرب وقت.

اللجنة عليكم جميعا..

يجب أن أقوم بزيارة لتلك الجي اللعين حتى أقف على مجريات الأمور كلها وليكن ذلك في منتصف الشهر المقبل.

انه يمثل نقطة القوة للحلفاء وإذا سقط في ايدي هتلر فلن تقم لنا قائمة اخري.

وبعد مرور أسبوع ومع هطول الثلوج بكثرة على كافة انحاء القارة العجوز.

في القصر الحاكم كان السيد "ونستون" في غرفته يتابع مع القادة أحداث الحرب التي قاربت على النهاية.

وكانت "ديانا" مازالت حبيسة الغرفة لم تخرج منها منذ يوم وداع "مارك" أما في اقصى الجنوب كانت الباخرة الحربية في الميناء تستعد للأبحار نحو البحر المتوسط.

أيها القائد كم سنستغرق من الوقت حتى نصل إلى جزيرة قبرص.

سنصل في غضون خمسة عشر يوما سيدي.

إذا اخبر البحارة بأن انطلاق الباخرة في الثامنة مساء.

لم يكن أحد يعلم بأحداث الجي الأخضر وما حدث للكونت ورجاله سوي الضابط ماكين وحامل الرسالة اليه.

لذلك عقد العزم على أن تسير الباخرة في اتجاه جزيرة قبرص ثم يتم تغيير خط السير إلى الجي الأخضر..

وبالفعل حدث ذلك وبعد مرور ثمانية أيام أصدر القائد جون تييري أوامره بأن ترسوا الباخرة الحربية على رصيف الجي الأخضر للأمداد والتموين.

كانت هذه الأيام عصبية على اهل الجي الأخضر

وبعد أسبوع من اغلاق المحال تم السماح بإعادة فتحها مرة أخرى عندما يأس الكونت من القبض على اللصوص، وتم القاء منشورات ورقية نصها الاتي..

في إطار حرص دولة بريطانيا العظمي على حفظ

السلام والامن داخل الحي الأخضر فسوف يتم رفع حالة
التجوال.

وتحذر دولة بريطانيا العظمي من أي عمل خبيث

قد يجر على أبناء الحي أشياء أنتم في غني عنها

وتحذر دولة بريطانيا من أي عمل يمس سلامة جندها الابطال
وجند الحلفاء.

امضاء..

الكونت يولييان

عادت الحياة إلى طبيعتها وتم فتح جميع المحال التجارية من جديد سوي مكتبة قاسم التي مازالت مغلقة إلى اليوم حتى أن كثيرا من روادها تحدثوا عن سبب اغلاقها خاصة بعد أن سمح الكونت للجميع بالعودة للممارسة حياتهم بشكل طبيعي.

ولعل هذا كان دافعا لزياب والذي أصبح له دور كبير هو ورجاله في حماية جند الانجليز. وبات لا تخلو عطفة ولا حارة من رجل من رجاله وأصبحوا يضيقون الخناق على اهل الحي.

بل وصل الامر إلى أن أحد رجاله سمح لجندي انجليزي بأن يمزق ملابس فتاة كانت تسير بمفردها.

بعدها صفعته على وجهه بيديها فما كان له إلا أن مزق ملابسها على مسمع ومرأي من رجال زياب. تدخل الشيخ أحمد وحاول انقاذ الفتاة من بطش الجندي الذي استشاط غضبا وأخذ يبرحها ضربا حتى كادت أن تلفظ أنفاسها.

ماذا تفعل أيها الحقير وأنت يا "أرشد" لماذا تقف مكتوف الايدي هكذا تشاهد الفتاة وهي تتعرض للايذاء ولا تفعل شيء.

اتركها والا قتلتك انت ومن يقف بجوارك واستطاع أن ينقذها بالفعل من ايدي الجندي بعدما تجمع المارة وكادوا أن يفترسوا رجل زياب ومن معه.

هيا يا ابنتي هيا تماسكي حتى نصل إلى منزلك.

سمع الشيخ صوت جهور من الخلف..

نظر خلفه فوجد زياب يقف ممسكا بسلاح في يده قائلا:

انا احذرك من أن تتعرض لاحد من جند الانجليز.

عجبا لك يا زرياب..

تدافع عن أعداء وطنك فانث مثال الخسة والوضاعة.

اين زرياب الطفل الذي كان عندما يسمع صوت اذان الصلاة بهرع ممسكا بيدي ويشدني شدا إلى المسجد.

زرياب الفتى البطل المغوار الذي دافع عن والده عندما تعرض لظلم مشابه ذات يوم.

كفي يا شيخ أحمد كفي..

فلقد مات قلب زرياب عندما شاهد ابيه قليل الحيلة وقد أخذ منه منزله على مسمع ومرأي من اهل الحي.

ماتت الرحمة في قلبي عندما داهم المرض ابي وتجولت في الحي ليل نهار حتى اتكسب الرزق كي أستطيع أن اساعده ولكن لم

أرى غير نظرة التكبر والتعالي من أهل الحي وكأنني شحاذ يستعطف الناس فيعطوه.

زرياب اليوم لا يعرف غير شيء واحد هو المال والذهب.

ارتفع صوت زرياب وازداد غضبا والشيخ أحمد يقف امامه في عجب من امره.

قل لي يا شيخ أحمد لماذا أبعدت ابنك قاسم عن مجالستي.

هل كنت عار عليك يوم أن كنت طفلا لامرأة تنال الرزق بيدها لتنفق على أبنها الصغير..

انت تعرف جيدا من أي عمل كانت تتكسب المال يا زرياب.

لم يكن امامها غير هذا الطريق بعد أن اغلق الجميع أبواب الخير في قلوبهم ولم يرحموها من السنهم.

ولكن هذا ليس سبب كي تنتصر لجند الاحتلال يا زرياب.

لا بل وجدت فهم مالم اجده بينكم.

أي شيء وجدت عندهم الخمر والنبيد والذهب والمال هذا كله سوف يزول جميعنا إلى زوال ولن يبقى غير الوطن والأرض الطيبة.

كفي يا شيخ احمد..

وحدثني عن قاسم ولدك لماذا لم يقم بفتح متجر الكتب بعد أن رفعت الاحكام العرفية عن الحي.

دع ولدي في شأنه ولك شأنك والسلام واحذر من أن تقترب من ولدي.

توقفت سيارة عسكرية عند العطفة توجه إليها زرياب مرحبا بالجنود، وانفض المارة وأخذ الشيخ أحمد الفتاة إلى منزلها بينما زرياب كان في مهمة عند الكونت فقد أصبح أحد أعمدة الكونت داخل الحي.

صباح الخير يا صديقي الكونت..

صباح الخير زرياب.

هل لديك معلومات جديدة عن اللصوص اعلم أنك لن تخذلني يا صديقي.

نعم أيها الكونت لدي معلومات بأن من يقف خلف ما حدث هو الغريب الذي يقطن دار الشيخ احمد.

ماذا تقول يا زرياب.

تلك هي الحقيقة سيدي الكونت.

كان الحقد يملأ قلب زرياب تجاه الشيخ أحمد وولده.

ولكن الشيخ "أحمد" رجل دين يا زرياب يقدهسه اهل العي وان لم يكن معنا دليل على ما تقول فلن يرحمنا الشيخ من لسانه السليط.

أخبرني إذا انت يا كونت عن الفاعل الحقيقي واللص الذي سرق الذخيرة والأسلحة من مخازن الكامب أن لم يكن هو فمن يكون.

ونجح زرياب في أن يستميل عقل الكونت وبالفعل خرجت ثلاثة سيارات محملة بالجنود تجاه منزل الشيخ أحمد واقتحموا العطفة بسياراتهم وهرول الأطفال عندما شاهدوا سيارات الانجليز تقتحم العي.

لدي امر عسكري من الكونت يوليان بالقبض على الغريب الذي يقطن منزلك وولدك قاسم أيضا..

قاسم!

مالكم وولدي.. انه لم يفعل شيء.

هيا تقدموا ابحثوا في ارجاء المنزل وعن أي أسلحة او ذخيرة..

وبعد خمس دقائق خرج أحد الجنود ممسكا بمارك والذي لم يحرك ساكنا فقط ينظر إلى الشيخ أحمد وعينيه تذرف دمعاً..

فأراد الشيخ أحمد أن يخبرهم بأنه لم يفعل شيء فالقي به أحد الجنود أرضاً فجال في مخيلة مارك مشهد فراق جده..

وتجمع المارة يشاهدون من بعيد ما يحدث فتقدم أحد أصدقاء قاسم كي يدافع عن الشيخ أحمد واهل بيته إلا أن أحد الجنود قد وجه إليه ضربة قوية في وجهه بسلاحه فسقط طريح الأَرْض.

واستقل سيارة الجنود الانجليز وتوجهت السيارة إلى الكامب.

أعلن الكونت حالة الاستنفار القصوى واصطف طابور الحرس ولم يتخلف جندي حينها. وعلى مدار الأيام السابقة كان مارك قد استطاع أن يقدم اعماله الفنية وخاصة صورة "ديانا" والتي أصبح كل حائط في الحي الأخضر يحمل خلفية لها.

كان يشجعه الشيخ على تنمية واداء هوايته بعد أن اعترف له مارك بهويته بعدما تردد كثيرا خاصة وأنه ابن لدولة تحتل ارضهم وتتهب أموالهم.

شيخ أحمد اريد أن اخبرك بأمر هام فقد وجدت عندك كل الخير وقد عوضني الرب عن جدي برجل قل من نجده في هذا الزمان.

فقد خرجت من وطني شريدا بعدما ارادوا أن يقتلونني ويقدمون جسدي لقمة سائغة لأسماك وحيثان المحيط من اجل عمل خسيس.

وجدت عندك كل الخير وأصبح لدي صديق هو قاسم ولدك وهو خير الأصدقاء.

واهل هذا الحي حيث الطيبة والقلب الذي لا يحمل غير الحق والخير.

لقد تعلمت معني الانتماء للوطن والحق في زمان قد هان الحق فيه على أناس يتحكمون في هذا العالم الكبير.

لقد تعلمت منهم كل ما هو جميل فقد احببتهم وأصبح الحي يمثل وطني الحقيقي.

الوطن الذي يغتصب من أناس لا يعلمون عن الرحمة والعدل والحق شيء يسرقون قوت اهله وينشرون الفحش والرذيلة في كل مكان.

لقد أصبح الحي الأخضر وطني الحقيقي ولن اعود لانجلترا بعد اليوم ويجب أن تصل قضيتكم لكل العالم يجب أن يعلم العالم جميعه بأن احتلال وطن الغير ليس من الخير في شيء.

اهداء يا ولدي حتى لا ينكشف امرك من رجال زرياب ويعلم الكونت وعندها تكون الفاجعة.

سوف اساعدكم كي تنالوا الحرية المنشودة والتي طال انتظارها من خلال أدوات وكل ما املك وكأنه يقصد لوحاته التي كان يرسمها علي جدران المدينة.

يا ولدي وطنك هو اهلك وارضك وعرضك يجب أن تبذل كل غال في سبيله.

ولسوف تعود يوما لوطنك وجدك وان طال الليل لا بد لشمس الحق أن تضيئ سماء الكون الفسيح.

لن يكون لك وطن بديل عن وطنك فقط من يتحكمون في مقاليد الأمور هم من يجبرون أبناء الوطن على الهجرة بلا عودة كي يستميلوا الأرض تجاههم.

وانخرط مارك بين الناس بعدما شاهده أطفال الهي يمسك بألوانه وأصبح يجهر بلوحاته امام كل اهل الهي يقف خلفه الكثير يشاهده بين ضحكات الأطفال ونظرات رشيل وغيرها من بنات الهي.

وكلما سأله أحدا عن صاحبة الصورة كان يشير إلى قلبه فيضحكون.

كان صديق للجميع يعشقه أطفال الهي وينتظرون خروجه كل نهار كي يجلسون بجواره. يدفع اذي الجند الانجليز عن أبناء الهي كلما شاهد أحدهم يتعرض لامرأة أو شيخ عجوز. عزف السلام العسكري داخل المعسكر بعدما خرج الكونت من مكتبه وتقدم إلى مارك مخترقا صفوف الجند.

ثم نظر إليه قائلا: اسمك؟

ادعي: ميشيل عذرا.

من أي البلاد اتيت إلى هنا؟

يهودي من بلاد اليونان.

إذا تعترف انك من خططت لاقتحام المعسكر وسرقة الأسلحة والذخائر.

انا لم اسرق شيء بل أنتم من تسرقون قوت هؤلاء الفقراء وتتهبون أموالهم صباحا ومساء وتعتدون على نساء اهل الهي.

بل انت السارق الحقيقي وسوف تنال اشد العذاب سوف اعلمك كيف تتحدث مع الكونت العسكري لدولة بريطانيا العظمي أيها الحقير.

يتم ايداعه في سجن المعسكر ولا يقدم له طعاما ولا ماء.

أعلنوا حالة الاستنفار واقبضوا على الشيخ أحمد خادم الزاوية ويقدموا إلى محاكمة عسكرية كي ينالوا أشد العذاب.

يجب أن يعلم الجميع أن دولة بريطانيا العظمى ليست من الضعفاء ومهما كلفنا الأمر سننتصر في معركة العالم لا محالة حتى وان بات العالم كله تحت اقدامنا وسنقف على رؤوس قتلاهم عند النصر.

عاشت دولة بريطانيا العظمى وعاش شعبها العظيم.

هيا انصرف أهبها الجنود انصرف..

تعرض مارك لأشد أنواع التعذيب البدني على مدار أسبوع لم يذق طعم للنوم فيه.

بينما الشيخ أحمد في زنزانة مجاورة مقيد بسلاسل من حديد بين يديه وقدميه.

وفي الجانب الآخر مرت أيام عديدة ومازال ريمون حبيس الفراش في الريف الإنجليزي وقد داهمه المرض.

يعوده أصدقائه ورواد معرضه الدائمين الذين أرادوا أن يجعلوا قضية مارك متداولة وان يعلم كل دول العالم بها إلا انه وسط محاولات كثيرة أبي حتى لا ينزل به اذي من الزعيم تشيرشيل إذا علم بالأمر.

بينما ديانا فقد أصبحت هزيلة ضعيفة شريفة العقل حبيسة الغرفة لا تخرج منها كثيرا.

والزعيم تشيرشيل مازال في شغل عنها بعدما اشتدت الحرب وقاربت نهايتها والحلفاء أصبحوا قاب قوسين او ادني من الانتصار في معركة العالم.

تلك المعركة التي خلفت ورائها ملايين من الجثث واشلاء للقتلي من الجنود وأبناء اوطان دافعوا عنها في معركة دار رحي خطاها بين زعماء وقادة العالم.

ظن كل منهما انه بانتصاره سينال المجد الابدي أي مجد يخلف خلفه أشلاء لأبرياء لا طاقة لهم في عالم لا يرحم الضعيف فيه.

تلك الكلمات التي أطلقها مارك في وجه الكونت عندما زاره ليلا في محبسه وقد نال اشد العذاب كي يخبر الكونت عن مكان قاسم.

الا انه قد عاهد الشيخ أحمد بالألا ينطق فيه بكلمة تمس الشيخ وابنه بأذى.

وبالفعل توجهت الباخرة الحربية تجاه الحي الأخضر وامر القائد بعملية الانزال والتموين والتي تستمر لمدة اليومين إلى أن تستمر الرحلة تجاه جزيرة قبرص.

وما إن وطأت قدمه رصيف الميناء حتى شاهد مالم تصدق عيناه فقد توقفت عقارب الزمن عند تلك اللحظة بل انه توقف لمدة الخمس دقائق بجوار سيارته الحربية لا يحرك ساكنا.

ثم حدث نفسه في دهشه!

ماذا يحدث هنا..

ديانا!!!

ثم استقل سيارته متجها إلى المعسكر بعدما تقدمه بالفعل ركب عسكري وأعلنت حالة الاستنفار في المعسكر.

لم يخلوا حائط في طريق المعسكر لم تدون عليه تعبيرات تسيء لدولة بريطانيا العظمي بل أن صورة ديانا والتي عشقها أبناء الحي مثل عشقهم لذلك الغريب كانت حديث القائد بين جنبات نفسه إلى أن وصل إلى المعسكر.

وعزف السلام العسكري لدولة بريطانيا..

وتقدم الكونت مرحبا بالقائد جون ماكين

ماذا يحدث أيها الكونت؟

كيف يتم سرقة أسلحة وذخائر لدولة مثل دولتنا العظمي يجب أن يتم تقديم المتهمون للقاضي العسكري فورا.

ولتكن انت في مقدمة الصفوف أيها الكونت.

ولكن قبلها أخبرني عن تلك المصصقات والكلمات التي تسيء لدولتنا العظمي وقد لطخت بها جدران الحي بأكملها.

سيدي القائد كل شيء في قبضتنا.

قبضتكم.. قبضتكم

أي قبضة تتحدث عنها وقد تمت الإساءة لدولتنا بتلك الصور التي لطخت بها جدران المدينة.

تقصد صورة الفتاة التي لا يعرف أحدا من هي؟

نعم.. ايها الكونت .

سيدي لا أحد يعلم عنها شيء فصاحبة الصورة ربما عشقها أحد أبناء الحي ثم قتلها
اسرتها بعدما حملت سفاحا من أحد الشباب.

استشاط القائد غضبا وامسك بالكونت قائلا: اصمت..

سيدي لقد أخبرني زرياب بأمرها بعدما أخبرني عن ذلك اللص الذي خطط لسرقة
الأسلحة والذخيرة.

وهو الآن بين قبضتنا وفي محبس المعسكر.

من يكون زرياب أمها الكونت؟

انه أحد الرجال المخلصين لدولة بريطانيا العظمى سيدي القائد.

وتذهب إليه في الملهى الليلي يا كونت في كل ليلة وتتناول الخمر والنيبيذ الأحمر وجوارك
الفتيات الحسنات وتتم عملية السرقة أثناء وجودك هناك أيضا.

سيدي القائد..

كيف لرجل عسكري أن يفعل كل هذا ومعركة العالم قد شارفت على الانتهاء والنصر بات
حليفنا.

بعد انتهاء الحرب سيكون لنا حديث اخر أمها الكونت.

اريد أن أرى ذلك الغريب الذي بين ايديكم هذا اللص الحقيير يجب أن يقتل في اليوم مائه
مرة جراء فعلته الدنيئة.

واستقل الكونت والقائد السيارة وطافا بأرجاء المعسكر متجهين إلى السجن الحربي.

حيث يقبع خلف ابوابه الشيخ أحمد ومارك كل منهما في غرفة بمفرده.

قدم إليه حارسا السجن التحية العسكرية فأشار اليهما بالتحية.

اخرجوا الغريب من محبسه هيا..

خرج مارك من غرفة شديدة الظلام واضع يديه خلف ظهره مكبل القيود.

وحدث اللقاء..

و ما إن وقعت عينيه على مارك فنزع القبعة وكشر عن أنيابه وامسك بتلابيب ثيابه.

انت أيها الوغد من سرق الذخيرة من معسكرنا بعدما سرقت قلب ديانا من قبل.

كيف جئت إلى هنا لقد أمرت بقتلك سابقا والقيت جثتك في مياه المحيط إذا انت من قام برسم صورة الأميرة على جدران الحي بأكمله.

انت خائن لوطنك يجب أن تقتل في الحال رميا بالرصاص.

انا لست بخائن لوطني بل انت ورجالك وهذا الكونت من تسرقون مقدرات الشعوب تحت مسي الانتصار الزائف.

وتقتلون آلاف من الأطفال الأبرياء وتحتلون مدن العالم كل هذا تحت قناع بغيض سوف يزول لا محالة.

قناع الحب والود الذي تحملونه بين ايديكم وفوق رؤوسكم تاج الظلم والفساد.

أي فلسفة أصبحت تتحدث بها يا مارك بعدما كنت ضعيف الفكر والوجدان.

انا لم أكن ضعيف الفكر يوما بل أن الحقد الذي يملأ قلبك هو من صور لك هذا.

لقد تعلمت كثيرا بين هؤلاء البشر وابصرت عيني عن أشياء كثيرة فهم أصحاب حق يريدون السلام فقط اما نحن نريد ارضهم ونسأهم فكيف هذا!!!
تحت مسي انتصار زائف..

لقد أحببت ديانا حد العشق ولم اسرق قلبها كما تتحدث.

كما انكم قد صنعتم جراء قوتكم الغاشمة الفرد الاله حيث يجتمع حوله مجلس الكهنة والسحرة فلم يكن امامكم غير عدوا قوي فكانت المعركة العظمي وقتل الالف الأبرياء بفعل صنيعكم.

وجئت انت وباعدت بيئي وبينها ولسوف اعود لها يوما ما بعدما تصبح انت وامثالك في عداد موتي تلك الحرب اللعينة.

فصفعه القائد بيديه فسقط ارضا مغشيا عليه بعدما أصبح هزيلا الجسد.

القوا به في محبسه ولا تقدموا إليه طعاما ولا ماء..

وتوجه نحو الميناء وتحركت الباخرة بالفعل نحو جزيرة قبرص.

في تلك الأثناء بدأت تدب روح الشجاعة في قلب أبناء الحي الأخضر وكان لابد لهم من امر عظيم كي يحركهم نحو أملهم المنشود والمطالبة بالحرية التي سلبت من أيديهم قبل عشرة أعوام وبداء أنصار الشيخ أحمد يطوفون ليلا أثناء حظر التجوال بين المنازل يلهبون حماس أبناء الحي.

وكان الاستعداد للانتقام من المحتل يتم على قدم وساق في خفيه وسرية تامة.

واخرون يتابعون التحركات العسكرية داخل الكامب من بعيد وفرقة أخرى يتابعون زرياب واعوانه وتلك الملهى الذي كان سبب في نشر الفحش والزيلة بين ارجاء الحي الأخضر.

واشدد لظي الحرب وقاربت على ال انتهاء بعد أن خلفت ورائها ملايين من القتلى والجرحى إضافة إلى الدمار الذي حل بمدن العالم والذي لم يجني من ورائها أحد من قادة العالم شيء سوى الخزي والعار الذي لحقهم بعد موتهم بعدما استحوذ على عقولهم الشيطان فصور لكل منه ما إن في الانتصار مجد ابدى لا يزول حتى بعد موتهم.

لم يعلموا أن بعد موتهم وزوال ملكهم قد لحق بهم العار والخزي جراء ما حدث للملايين من البشر تري هل حقق الطرفان ما أرادوا من هذه الحرب اللعينة؟

وفي ليلة من ليالي الشتاء وقد هبت رياح باردة لم يخرج أحد من منزله سوى من أراد من جنود الانجليز الذهاب إلى ملهى زرياب كما اعتادوا وهناك كان إسماعيل واخوانه في الانتظار وقد أعدوا العدة لزرياب ومن معه وانقسم قاسم بفريق يتبعه وإسماعيل بفريق اخر.

ثم حدث انفجار عظيم سمع صوت دويه في المدن المجاورة لشدته بل أن لهيب والسنة النار قد قاربت السماء.

وفي الجانب الاخر وعلي مقربة من الكامب الإنجليزي كان الفريق الاخر يطوق المعسكر حاملين الأسلحة الثقيلة وتم قطع الاسلاك الشائكة وصعدوا جميعا فوق اسوار المعسكر بعدما بات خاليا من جنود وحرس أثناء هطول الامطار الغزيرة.

وتسلل قاسم داخل المعسكر واستطاع أن يفك اسر ابيه ومارك وأخري بمساعدة جميلة وانطلقوا هاربين نحو السور الخلفي.

وعندما سمع صوت الانفجار العظيم الذي هز ارجاء الحي خرج الجنود من سكناتهم فوجدوا جحيم من طلقات الرصاص تنهال عليهم وقنابل يدوية تندفع نحوهم من كل مكان وسقط منهم الكثير قتلي وجرحي.

قبل أن يتم تفجير اسوار المعسكر بوسطة الفدائيين واشتعلت السنة النيران في كل مكان وتصاعدت اعمدت الدخان الأسود وسمع صوت انفجار هائل هز ارجاء الحي بأكمله.

وتطارت أشلاء الجنود في السماء ومن تبقي منهم على قيد الحياة أعلن الاستسلام قبل أن ترسل دولة بريطانيا سفن حربية لأجلائهم عن الحي الأخضر بعدما انتهت الحرب الفاشية والتي لم يجني أحد من قادة العالم حينها غير الدمار والخراب وسقوط ملايين من القتلى، والجرحي.

واستطاع ابناء الحي أن يتخلصوا من احتلال دام لسنوات ومن عدوا لظالما قد بدد أحلام أطفالهم وسرق قوت يومهم وحلق نسر الحق فوق شاطئ الحي الأخضر مجددا.

امسك مارك يديها وهو يشير الى الاسلاك الشائكة قائلا: نحن من نصنع الأسلاك الشائكة بأنفسنا حينما نسمح للخوف بان يملك من قلوبنا..

نمعة القمصان الله